جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

مشروع النهضة عند مالك بن نبي ومحمد فتح الله كولن

– دراسة تحليلية مقارنة–

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: دعوة وإعلام واتصال.

الطالب:
سفيان حشيفة

المشرف:
أ: الطاهر عمارة الأدغم

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
معمر قول	أستاذ محاضر- ب -	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	رئيسا
الطاهر عمارة الأدغم	أستاذ مساعد - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	مشرفا ومقررا
علي خضرة	أستاذ مساعد - أ -	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي	عضوا

السنة الجامعية: 1436- 1437هـ/ 2015- 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة: 105

ملخص الدراسة :

الحديث عن نهوض حضاري في البلاد الإسلامية يتطلب عودة ملحة إلى مشاريع مفكريها ومصلحيها وعلمائها ومجدديها المتعلقة بالبناء الحضاري، ومعالجة مشكلات الأمة أخلاقياً واجتماعياً واقتصادياً وتربويا وحتى دينياً إذا اقتضى الأمر ذلك. وقد تطرقت في دراستي في هذا السياق إلى علميْن مجددين في العالم الإسلامي، هما المفكر الجزائري مالك بن نبي ، والمفكر والمصلح التركي محمد فتح الله كولن، اللذان عايشا مشكلات العصر الحالي و حاول ترجمة أفكار تنويرية للنهضة من جديد بعد عقود بل قرون من الانحطاط.

واشتملت هذه الدراسة التي سلكت المنهجين التحليلي والمقارن في العمل وأجابت عن إشكالية رئيسية، على مقدمة وخاتمة وستة فصول عالجت الموضوع المطروق من زواياه المختلفة، فالفصل الأول عالج مفاهيم الدراسة، والثاني عرّج على محطات في حياة المفكريْن، أما الثالث فاستطرق مسارات النهضة عند الغرب والعرب بتحليل أسباب النهوض والسقوط لكلا الجانبين. والفصل الرابع تناول مقومات النهضة عند العلميْن، والخامس وضع هاته المقومات في ميزان المقاراناتية وقابل الأفكار مع بعضها في شكل نقاط تشابه واختلاف. وكانت الخاتمة إجابة صريحة عن الإشكالية، ومنوهةً بأهمية مشروعي النهضة عند مالك وكولن نظرا لوفائهما بمستجدات الزمان والمكان ومشكلات الرّاهن مع تقديم حوصلة عن أفكار المفكريْن وإسقاطات عن الوضع العربي المعاصر.

وقد انضبط مشروعا النهضة لمالك وفتح الله حسب نتيجة الدراسة بخطوات منهجية واضحة وصارمة في الطرح و التوجيه للحلول المناسبة، بعد استيفائهما لكل مكامن الضعف بالأمة، التي ظلت طيلة القرون السابقة تبحث عن نفسها وسط ركام التخلف والتشتت والانحدار، الذي لا يزال يمر بها نحو دركات الموت والأفول في ظل زحمة الثورة العلمية والصناعية الرّهيبة في العالم. وكل الأمل في أن لا يبقى الانحدار متواصلاً إذا عدنا لذاتنا وجسدنا مشروعات مفكرينا النهضوية المولودة من رحم معاناتنا وأزماتنا.

Summary

Talking about the advancement of civilization in the Islamic country requires urgent return to the thinkers', scientists', reformers' and innovators' projects that are related to the civilazation construction , and to the treatment of the nation's problems morally, socially, economically, educationally and even religiously, if necessary. So, I've focused in my studies, through this context, on the two famous innovators in the Islamic world. They are the Algerian thinker " Malik bin Nabi ", and the Turkish thinker and reformer " Muhammad Fethullah Gülen", who were living the current era problems and tried to translate ideas enlightening renaissance again after decades and even centuries of decadence.

This study, which followed the analytical and comparative approaches to work and gave answer to a major problem, includes an introduction, a conclusion and six chapters dealt with the particular subject matter from different aspects. Chapter I dealt with the study concepts, the second one stopped at stations in the life of intellectuals, and the third one focused on Renaissance paths in the West and the Arabs analyzing the reasons for the advancement and falling to both sides. The fourth chapter dealt with the elements of the Renaissance introduced by the two innovators, and the fifth one put the ingredients in these circumstances in comparison with some ideas in the form of similarities and differences in the balance of points. The Conclusion is an explicit answer to the problem, noting the importance of the Renaissance projects of Malik and Gülen due to the latest development time and place and the current problems with the provision of thinkers' ideas and projections for Contemporary Arab situation..

The two Renaissance projects of Malik and Gülen are, as a result of the study steps, clear and rigorous methodology in the placement and routing of appropriate solutions, after they meet both the weaknesses of the nation, which have been over the previous centuries searching for themselves amid the rubble of underdevelopment and dispersion and slope, which is still going through some abysses of death and decline under the scientific Traffic and the terrible Industrial Revolution in the world. And all hope that the gradient does not remain constant if we go back to ourselves and embody our thinkers' projects of renaissance born from the womb of our suffering and crises.

إهداء

"أهدي هذا العمل إلى والدي الكريمين أطال الله في عمرهما وحفظهما من كل سوء، اللذين قاسماني الحياة بأفراحها وأتراحهـــا، وكان دعاؤهما لي بالتوفيق والنجاح غير منقطع.. وإلى أولئك الذين ساندوني في كل مراحل حياتي الدراسية والمهنية"

سفيان

شكر وعرفان

بناءا على قول الحبيب المصطفى ﷺ : (لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ)[1].

أتوجه بجزيل الشكر وفائق العرفان إلى أساتذتي الأفاضل ..و خاصة منهم الأستاذ "الطاهر عمارة الأدغم" الذي أشرف على تأطير دراستي، و أولى لي اهتماما كبيرا في سبيل إنجاح هذا العمل. مع توجيه كل معاني التقدير للدكتور رشيد خضير الذي ساعدني على تجسيد طموحي وشجعني على المضي قدماً للبحث في هذا الموضوع.

سفيان

[1] – أخرجه أبو داود في سننه.كتاب الأدب باب شكر المعروف. الحديث رقم :4811.(4/255)

مقدمة

تمرُّ الأمة الإسلامية في هاته الآونة بمنعطف تاريخي حاسم، قد يرفع من شأنها أو يزيد من ضحالة وضعها، إذ تحاول وبكل قوة بلورة مكانة جديدة لها بين الأمم، تكون فيها سيدة نفسها وقرارها وصانعة مستقبلها وفق ما تمليه عليها ثقافتها وتراثها وحضارتها الضاربة في عمق التاريخ البشري، بعيدا عن كل رياح التطبيع مع ثقافات الغرب التي تتضارب مع هويتها الأصلية.

ويتجسد هذا المنعطف في واقع الأمة بحصول انتفاضة واسعة ضد أوضاعها الفاسدة المهترئة تحت ما يسمى بانتفاضة "الربيع العربي" التي اندلعت سنة 2011 ولا تزال، لترتفع أصواتها منادية بالعدالة الاجتماعية والحرية وكرامة الإنسان، التي بترت في ظل أوضاع سياسية هشة، اتسمت على مر العقود الماضية بالاستبداد السياسي والتسلط والتخلف. لكن في هذه الأوقات العصيبة تشتدّ الحاجة إلى الأفكار الصحيحة النورانية والمناهج النهضوية المنطقية، حتى لا تتحول يقظة الأمة وصحوتها نحو الحرية، إلى مقدمة جديدة لسبات عميق قد لا تستفيق بعده أبداً، بسبب الرياح المعاكسة المضادة التي تأبى الكرامة للإنسان ولا تريد للأمة النهوض من جديد.

إن أمتنا في أمسّ الحاجة إلى أفكار تجديدية برؤى معاصرة، تعايش الزمان والمكان، وتختصر الأوقات التي ضاعت في عز التخلف. والواقع يقول إن الأمة تعج بمفكرين وفلاسفة مؤهلين يمتلكون القدرة الهائلة على تطويع مشكلاتها، بأفكارهم ومشاريعهم الفذة، وإزالة العراقيل التي تحول دون انطلاقتنا نحو مستقبل زاهر وحضاري.

ويأتي في مقدمة هؤلاء المفكرين العظماء رجلان عبقريان، الأول هو مفكر عربي جزائري امتلك الملكة الفلسفية والقدرة على هندسة الأفكار الحداثية، وهو المفكر مالك بن نبي، الذي عايش فترات تكالب الاستعمار وغطرسته على بلده الجزائر وباقي الأوطان العربية والإسلامية، حيث نظر بعين ثاقبة في أسباب الخضوع و التخلف، وطرح منهجه الفكري والحضاري للنهوض بالأمة. و أما الثاني فهو مفكر ومصلح وداعية تركي، هو أحد رجالات الأمة في الراهن، اهتم بالوعظ والدعوة في بداياته، ثم الفكر النهضوي والبناء الحضاري، هو الشيخ والمفكر محمد فتح الله كولن. وقد ساهم كل منهما في مناقشة أهم قضايا الفكر الإسلامي بطرح سديد منطقي مستوعب لظروف الزمان والمكان، ورؤية ثاقبة متبصرة في عيوب الأمة، مشخصين الداء ومقدمين الدواء الشافي والمستأصل لأورامها و منغصات تقدّمها.

وهذا ما حملني على أن أغوص في رسائل وكتابات هاذين العلميْن اللذيْن لابد أن يحضرا بفكرهما في وضعنا الإسلامي الراهن المتدهور الذي يبحث عن خلاص له نحو مستقبل أفضل، ولن يكون ذلك إلا من خلال بعث أمجاد الأمة ومشاريعهم المنبثقة من ذاتنا. إذ أنوي أن تكون دراستي هاته مشروع لتأليف كتاب عن فكر الرجليْن، ابحث فيه سبل نهضة الأمة الضائعة وسط غياهب الانحطاط والرازحة تحت وطأة التخلف. خاصة كما- ذكرت سابقاً- مع موجة الربيع العربي التي تعترضها عوائق متعلقة أساسا بنقص الوعي الفكري وغياب تأطير الموجة التغييرية.

كما جاءت هذا الدراسة لتسليط الضوء على مشروع النهضة لدى هاذين المفكريْن "مالك بن نبي وفتح الله كولن" في ظل حاجة الأمة الماسة لبعث فكرهما التنويري، وكذا إبراز الفرق في الأفكار بينهما ومناقشة إسهاماتهما في بناء المشروع الحضاري الإسلامي بالاعتماد على منهج المقارنة. ليكون العنوان: " **مشروع النهضة عند مالك بن نبي ومحمد فتح الله كولن –دراسة تحليلية مقارنة–**".

ولمعالجة إشكالية الدراسة واحتواء كل أبعادها اعتمدت على خطة تشكلت من مقدمة وخاتمة وخمسة فصول.

الفصل الأول تناول الإطار المنهجي والمفهومي للدراسة وتكوّن من ستة مباحث. حيث تطرقتُ في المبحث الأول إلى مشكلة البحث التي ارتكزت حول تساؤل رئيسي، ثم تساؤلات فرعية. ثم المبحث الثاني أبرزتُ فيه أهمية الموضوع وأسباب اختياره بين الموضوعية والذاتية مجملةً معاً. والمبحث الثالث تحدّث عن أهداف الموضوع، وأوضح الرابع جملة الأهداف التي يسعى لتحقيقها هذا البحث.

أما المبحث الخامس فعرّج على تفكيك مصطلحات الدراسة من الجانبين اللغوي والاصطلاحي مع الشرح. وفي المبحث السادس تحدثتُ عن دراسة سابقة مشرقية بشرح مستفيض، عالجت مشروع مالك وفتح الله بالمقارنة، وهي الوحيدة التي تناولت المفكريْن بالتحليل والمقارنة. وفي هذا المبحث تحديدا –أي السادس– وجدت صعوبة كبيرة في البحث والتّقصي عن الدراسات السابقة التي تناولت المفكريْن بالمقارنة. حيث لم تلقى دراسات المقابلة والمقارنة بين هاذين العلميْن بحسب حدود إطلاعي اهتماماً من الطلاب والباحثين سواء على مستوى الجامعات الجزائرية، أو حتى في دول المشرق العربي .

الفصل الثاني تطرق لمحطات في حياة المفكريْن، وتضمن مبحثين، الأول تناول مالك بن بني حياته ونشأته ودراسته وعمله وسيرته وعيشه في فرنسا وترحاله إلى عدد من الدول الإسلامية، وكذا أهم المؤثرات الفكرية والتراثية والاجتماعية والثقافية التي كانت وراء هاته الولادة للفيلسوف في عز الانحطاط والضعف للأمة. مع إيراد لكل مؤلفاته الفلسفية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، التي أثْرت الساحة الفكرية والثقافية الإسلامية وأعطتها جرعة أمل جديدة في سبيل تحقيق اليقظة المنشودة.

المبحث الثاني في هذا الفصل أيضاً تحدث عن حياة فتح الله كولن، نشأته في قرية "كوروجوك" بمقاطعة "آرضوم"، و دراسته وعمله وترحاله، ووعظه ونشاطاته في مجال الخدمة والدعوة إلى الله. ثم التطرق لمؤلفاته الغزيرة التي ترجمت للعربية، والتي تحدثت عن جوانب شتى في مجالات الدعوة والسياسة والأخلاق والبناء الحضاري والمجتمعي والإنساني.

أما **الفصل الثالث** فاستقرأ مسارات النهضة في العالمين الأوروبي والعربي، من مراحل الانحطاط والضعف في كلا الطرفين، إلى الثورة الصناعية بالنسبة لأوروبا، و الصحوة بالنسبة للعالم الإسلامي، الذي رزح تحت سطوة وقهر الاستعمار لعقود طويلة، خلّفته كثيرا على ركب الأمم التي صنعت حضارة ونهضة مع بداية القرن 16 إلى اليوم. وقد طرقت هذا الفصل بمبحثين، الأول لمسارات النهضة عند الغرب، والثاني عند العرب، مع تحليل لأوضاع العالمين خلال الحقب السابقة، وتفسير أسباب السقوط والنهوض في نفس الوقت بهما، وهو ما يعد في حد ذاته إبرازاً لعوامل النهوض والسقوط بما أن أوضاع الأمس واليوم متشابهة تماماً. فأوروبا حضارة اليوم، كانت بالأمس تعيش ضحالة العصر بكل معانيه من تخلف وانحطاط وانغلاق إلى بداية القرن السادس عشر ميلادي وظهور بداية مؤشرات التحول الفكري والحضاري.

وأسهب **الفصل الرابع** في مقومات المشروع النهضوي عند هذين العلميْن المجددين، وقد حمل مبحثين بعدّة مطالب، حيث ناقشت أفكارهما وأرائهما بخصوص قضايا الأمة. المبحث الأول كان بعنوان "مقومات النهضة عند مالك بن نبي"، وتضمن ثلاثة مطالب، الأول عالج مقومات النهضة وهي بناء شبكة العلاقات الاجتماعية وتحقيق الفاعلية وإعادة بناء الإنسان الجديد، وإعادة تفعيل الدين في الوسط الإجتماعي. والمطلب الثاني تناول عناصر الحضارة وهي الإنسان، والتراب والوقت. والمطلب الثالث تحدث عن الدورة الحضارية، وهي ثلاث مراحل وطور، مرحلة الروح، ومرحلة العقل

ومرحلة الغريزة، ويوجد طور انتقالي هو الأوج، يجسد قمة صعود الحضارة قبل بداية تراجعها، وأنهيت المبحث بنتيجة.

أما المبحث الثاني فكان بعنوان "مقومات النهضة عند فتح الله كولن"، ويحتوي على ستة مطالب، ناقشت مقومات التجدد بالإيمان، والكينونة الذاتية، العقل والقلب، والفاعلية والنزعة العملية، وإنسان الفكر والحركية، والموازنة بين الشريعتين القرآنية والفطرية.

وأخيراً **الفصل الخامس**، وقد سلطتُ فيه الضوء على مشروعي المفكريْن باستخدام المنهج المقارن والتحليل، متضمناً هو الآخر مبحثين، الأول لنقاط التشابه، والثاني لنقاط الاختلاف. ولمست خلال القيام بالعملية تقارباً في الأفكار الرئيسية المتعلقة بالبناء الحضاري، كالاهتمام بالإنسان، والعقل والدين و الروح والإيمان والفاعلية وصلاح تمكين القرآن في كل زمان ومكان.

الفصل الأول

الإطار المنهجي والمفهومي للدراسة

المبحث الأول: إشكالية الدراسة

المبحث الثاني: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

المبحث الثالث: أهداف البحث

المبحث الرابع: المنهج المتّبع في الدراسة

المبحث الخامس: مصطلحات الدراسة

المبحث السادس: الدراسات السابقة

المبحث الأول: إشكالية الدراسة

يعيش العالم الإسلامي في حقبتنا التاريخية الحالية مرحلة انتقالية عسيرة المخاض، يسعى من خلالها للنهوض من غياهب الجمود والتخلف إلى مقامات الحضارة والقيادة، لكن لن يتأتى ذلك إلا من خلال تطبيق مشاريع نظريات حضارية لمفكري الإسلام. ومن هذا المنطلق كانت إشكالية البحث كالآتي: ما هي أسباب فشل المشاريع النهضوية المتعاقبة التي طرحها مفكرو الإسلام خلال القرون الخالية، سواء كانوا فلاسفة أو منظري ومفكري حركات الإصلاح الإسلامي، أو حتى دعاة التيارات القومية العربية خلال العقود الأخيرة، أو دعاة الاتجاه العلماني؟ وما هي طبيعة المشروع الحضاري الذي قدّمه كل من مالك بن نبي وفتح الله كولن؟، وفي ما يتمثّل المشروع الحضاري البديل لدى هاذين العلميْن المجددين؟، وهل مشروعاهما كفيل بتحقيق نهوض وتطور في شتى المجالات ؟ وفي ما تتجلى نقاط الاختلاف و التشابه بين مشروعهما الحضاري ؟ .

التساؤلات الفرعية:

1 – من هو مالك بن نبي وما هي أهم معالم فكره و منهجه النهضوي ؟

2 – على ماذا ركز مالك بن نبي في مشروعه النهضوي و الفكري ؟

3 – من هو فتح الله كولن وما هي أهم معالم فكره و منهجه النهضوي ؟

4 – على ماذا ركز فتح الله كولن في منهجه النهضوي ؟

5 – كيف تم تشخيص أزمة الحضارة عند مالك بن نبي وفتح الله كولن ؟

6 – في ما تكمن طبيعة المشروع الحضاري في فكر مالك بن نبي وفتح الله كولن ؟

7 – ما هي مقومات وشروط النهضة لدى بن نبي وكولن ؟

8 – ما هي جوانب التشابه و التقارب بين مشروعي المفكريْن ؟

9 – ما هي نقاط الاختلاف في المشروع النهضوي للمفكريْن ؟

10 – هل يمكن تحقيق مقاربة بين منهجي مالك و فتح الله في النهوض الحضاري؟

11 – هل يمكن أن يكون مشروعا بن نبي وكولن بديلا عن المشروعات الحضارية التي سبقتهما؟

المبحث الثاني: أهمية الموضوع وأسباب اختياره

حاجة الأمة في ظل واقعها الهزيل والضعيف بعصرنا الحالي، إلى مناهج نهضوية منطقية، محاكية للزمان والمكان، كمشروعي هاذين المفكريْن بن نبي وكولن، تعكس أهمية هذا الموضوع وطرحه في راهننا المتسم بكل أنواع التخلف، في محاولة لإبراز آليات النهوض من جديد والخروج من حالة الخضوع والخنوع والضعف، نحو واقع جديد تتبوأ به الأمة موقعها القديم القيادي.

1 – أسباب موضوعية

– التوجيه الصحيح لثورات الربيع العربي، بعد انحراف بعضها نحو واقع أسوأ مجهول، بسبب غياب الرؤى السديدة الموجهة للجماهير، والشعوب المنتفضة على واقعها المتدهور، بغية تحسينه وتحقيق نهضة للأمة. و مشروع المفكريْن الحضاري أهم الانتاجات الفكرية المساعدة على نهوض الأمة وحسن توجيهها .

– الجهود الكبيرة التي قدمها هذان المفكران الموهوبان، ونظرا لعدم معرفة الكثير بهما، فإنه من باب الوفاء لهما وجب أن يستوفيا ما يستحقانه من الاطلاع والدراسة والبحث والتحميص والتقدير لما أنتجاه من فكر متوازن، مستوعب لواقع الأمة المعاصر ومستجداته.

– ثراء مشروعي مالك بن بني وفتح الله كولن، وإمكانية تحول مشروعيهما إلى نواة حقيقية لنهوض حضاري شامل للأمة بعد ضعف لعقود، نظرا لوسطيتهما واعتدالهما وشمول فكرهما لكل مجالات ونواحي الحياة.

– إيقاظ العقل العربي المتسم بالجمود، بتحيين أفكار ومناهج هاذين المفكريْن، نحو استفاقة جديدة و توجيه صحيح نحو البناء الحضاري.

– ارتفاع أصوات التغيير في الأوطان العربية والإسلامية، واعتقاد كثيرين أن إسقاط الأنظمة وتغيير الأوضاع السياسية سيؤدي إلى تحوّل في أوضاع التخلف، مع تغييب واضح لمناهج المفكرين والفلاسفة الذين درسوا جيّداً آليات النهوض الحضاري بالأمة والرقي بها، وفكر مالك وكولن نموذجان واضحان للتمكين والتغيير نحو الأفضل .

2- أسباب ذاتية

- رغبة جامحة تتملكني للخوض في مشروع هاذين المفكريْن الكبيريْن، و تمحيص أفكارهما، للتعلم والتكوين و الاستفادة من الخبرات والأفكار النهضوية.

- الرغبة في طرح مشروع فكري جديد هو المقارنة بين المنهجين النهضويين لهاذين العلميْن، الذين تطرقت لهما دراسة واحدة فقط بالمقابلة والمقارنة تعود للأستاذ فؤاد عبد الرحمن البنا –اليمن- ، كما أن دراستي ستكون مشروع كتاب في مشواري الدراسي والبحثي. فهذان العلمان يحملان سمات التجديد والإصلاح لواقعنا المعاصر، ويجب بعث فكرهما.

المبحث الثالث: أهداف البحث

يسعى البحث لتحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

1 - إجراء مقارنات موضّحة، شارحة لمشروعي النهضة لدى مالك بن نبي وفتح الله كولن، من خلال تبيين نقاط التشابه والإختلاف بينهما، و ذلك لإثراء الساحة الفكرية بمعطيات فكرية جديدة عن مشروعي المفكريْن الكبيرين، اللذان نالا حظاً ضئيلاً من الدراسات المقارناتية.

2- المقارنة بين معادلات بن بني وكولن المطروحة للنهوض الحضاري بالأمة الإسلامية، من حالات الضعف والتقهقر والتشرذم إلى واقع جديد يبوئها موقعاً نديّا بين القوى في العالم.

3 – الاطلاع من خلال المقارنة والتحليل على مشروع المفكريْن النهضوي، وعلى أهم النظريات المطروحة فكراً وعملاً، ومحاولة إجراء إسقاطات على واقع الأمة المتسم آنيا بالضحالة والركود والجمود في جميع النواحي.

4- العمل من خلال بعث هذيْن المشروعيْن على النهوض بالأمة من دركات التخلف والتخبط في أودية الانحطاط، إلى درجات العلا و تشييد الحضارة.

المبحث الرابع: المنهج المتّبع في الدراسة:

سلكت في هذه الدراسة منهجين متكاملين حسب الموضوع المطروح. حيث استخدمت المنهجين التحليلي والمقارن لدراسة مشروعي النهضة عند "مالك بن نبي وفتح الله كولن"، وذلك من خلال التحليل والمقارنة بين مشروعهما، فبالنسبة للمنهج التحليلي تتجلى أهميته في تحليل ودراسة الأفكار،

أما المنهج المقارن فيتيح مقابلة المشاريع بعضها مع بعض للكشف عن ما بينها من اختلاف وتشابه وتعليل ذلك.

المبحث الخامس: مصطلحات الدراسة

المطلب الأول : المشروع

1- لغةً: المشروع هو أمرٌ قد بُدء به وتتم الحركة في إطاره، ومن الناحية اللغوية يجوز استخدام كلمة مشروع.[1]

2- اصطلاحاً: كلمة مشروع عند أهل الإدارة تعني أنشطة متتابعة مصممة، للوصول إلى مخرجات محددة، من خلال ميزانية محددة، ومدى زمني محدد.[2]

أما في العلوم السياسية فيقصد بكلمة مشروع أي أيديولوجيا تسعى للهيمنة. وهنا يكمن التركيز على القول بالهيمنة، فكل أيديولوجيا تسعى للهيمنة، يطلق عليها كلمة مشروع مثلما يتم الحديث عن الليبرالية كمشروع.[3]

إذاً يمكن التعامل مع الأفكار النهضوية على أنها مشروع، و يمكن أن نطلق ذلك في تعاملنا مع الكلمة بسعة في الإدارة أيضاً، أما من الناحية اللغوية فيكمن استخدامها قطعاً بدون تخوف. وفيما يخص العلوم السياسية فهي باب مفتوح يمكن التعامل معه بدون أي إحراج. وبذلك تكون كلمة مشروع، قد اتضحت وأصبح استخدامها مشروعاً.[4]

المطلب الثاني: النهضة

1 – لغةً: نهض والنهوض البراح من الموضع، والقيام عنه نهض ينهض نهوضا وانتهض أي قام.[5]

---

[1] – جاسم سلطان، من الصحوة إلى اليقظة " إستراتيجية الإدراك للحراك"، د ط، أم القرى، 2007م، ص 12.

[2] – المرجع نفسه، ص 13.

[3] – المرجع نفسه، ص 13.

[4] – المرجع نفسه، ص 13.

[5] – محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دط، دار المعارف القاهرة، د ت، ص 4560.

والنهضة هي الطاقة و القوة، والوثبة في سبيل التقدم الإجتماعي أو غيره، ويقال كان من فلان نهضة إلى كذا : حركة وهو كثير النهضات.[1]

2 – اصطلاحاً: كلمة النهضة هي حركة فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، وتطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي.[2]

هذه الكلمة تحتوي على جملة مفردات هي " حركة، فكرية عامة، حية منتشرة، تتقدم باستمرار في فضاء القرن، تطرح الجديد دون القطيعة مع الماضي". وتشمل مجالات العلم والدين والسياسة والاقتصاد وما إلى ذلك.[3]

فهذه الحياة الجديدة وهذا التصور الجديد لإمكانية الفعل التاريخي، ولإمكانية النظر للكون بمنظار جديد هي السمة الأساسية لما يسمى عصر النهضة، و هي في الوقت نفسه ليست حركة في أرض منسابة سهلة، بل إن هذه الحركة التي تقودها هذه النخب، تتعرض للاضطهاد والتنكيل والمقاومة ولكن ذلك جزء من ضريبة هذا الوضع النهضوي، الذي يتحرك فيه المجتمع.[4]

إذا قمنا بالمقاربة لكلمة النهضة في واقعنا المعاصر، سنجد التماثل والتماهي في حركة التيارات الإسلامية الجديدة التي تدعوا إلى التطوير في التعليم والاجتماع والسياسة وفي الاقتصاد، وتدعو للإرتباط بالنافع من تراث الأمة و الخير من إنتاجها . هذا التمازج الحي بين حركة الأصالة وحركة التجديد يرسم معالم عصر النهضة الذي يتحرك فيه الآن هذا التيار الضخم من العاملين في حقل النهضة.[5]

[1] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004 م، ص 959.

[2] – جاسم سلطان، من الصحوة إلى اليقظة، مرجع سابق، ص 17.

[3] – المرجع نفسه، ص 17

[4] – المرجع نفسه، ص 17.

[5] – المرجع نفسه، ص 17، 18.

المطلب الثالث: مالك بن نبي

مفكر وفيلسوف جزائري، و لد في 01 جانفي 1905م، الموافق لـ 05 ذو القعدة 1323هـ بمدينة قسنطينة إحدى المدن الكبرى شرقي الجزائر.[1]

المطلب الرابع: محمد فتح الله كولن

داعية ومفكر تركي معاصر، ولد في 27 إبريل 1941م وفقا لبطاقته الشخصية، لكن تاريخ ميلاده الحقيقي قبيل هذا بنحو عامين أو ثلاثة، فالمواليد في بيئته وعصره لم تكن تقيد على الفور، وكثيرا ما يشير في ذكرياته إلى أنه ولد قبل هذا.[2]

المبحث السادس: الدراسات السابقة

رغم أهمية موضوع البناء الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله كولن، إلا أن دراسات المقابلة بينهما لم تنل اهتمام الباحثين، باستثناء دراسة واحدة بحسب حدود إطلاعي للأستاذ الدكتور فؤاد البنا بعنوان "العروج الحضاري بين مالك بن بني وفتح الله كولن"، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، قطر 2013م. ومن خلال هذا حاولت أن أسلط الضوء على دراسة البنا .

صدر هذا الكتاب عن إدارة البحوث والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة قطر ضمن سلسلة كتاب الأمة، تحت عنوان: "العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن" لمؤلفه: فؤاد البنا، وهو يمني الجنسية، حاصل على شهادة "دكتوراه" في الفكر الإسلامي السياسي، أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة "تعز"، وجامعة العلوم والتكنولوجيا، وأستاذ الفكر السياسي في كلية الآداب بجامعة "تعز" أيضاً. له مؤلفات عديدة من الكتب، أهمها: تدبر القرآن ودوره في النهوض الحضاري بالمجتمعات الإسلامية، العالم الإسلامي بين التخلف الحضاري ورياح العولمة،

[1] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2006م، ص 22.

[2] – أرطغرول حكمه، فتح الله كولن " قصة حياة ومسيرة فكر"، ترجمة: عبد المولى علي جربيع، خالد جمال عبد الناصر، دار النيل، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2013م، ص 22.

التفكير الموضوعي في الإسلام، منطلقات الخطاب الإسلامي المعاصر في مواجهة المتغيرات العالمية، عوامل الإعاقة الحضارية في تدين المسلمين، الخصائص العامة لحقوق الإنسان في الإسلام، تيارات التجديد في الفكر الإسلامي الحديث.

وقد حاول هذا الكتاب "العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله جولن" البحث عن إجابات لإشكاليات "النهضة" في عصرنا، من خلال مناقشة ومقارنة منهجي المفكرين النهضويين "مالك بن نبي"، و"فتح الله كولن" وتحليل معادلات وموازنات أفكارهما الفكرية والفلسفية. وتضمّن الكتاب أيضاً أربعة مباحث: المبحث الأول: محطات في حياة ابن نبي و كولن. المبحث الثاني: معادلات الإقلاع الحضاري عند مالك بن نبي. المبحث الثالث: موازنات العروج الحضاري عند فتح الله كولن. المبحث الرابع: النهوض الحضاري عند ابن نبي وكولن، مقاربات ومقارنات.

الفصل الثاني

محطات في حياة مالك بن نبي

وفتح الله كولن

المبحث الأول: محطات في حياة مالك بن نبـــــــي

المطلب الأول: المولد والنشـــــــــــــــأة

المطلب الثاني: دراسته وعمله وترحاله إلى فرنسا

المطلب الثالث: مؤلفات مالك بن نبـــــــــــي

المبحث الثاني: محطات في حياة فتح الله كـــــولن

المطلب الأول: مولده و نشأتـــــــــــــــه

المطلب الثاني: كولن الإمام، والعسكري، والداعية

المطلب الثالث: مؤلفات فتح الله كـــــــــــولن

المبحث الأول: محطات في حياة مالك بن نبي

المطلب الأول: المولد والنشأة

ولد مالك بن نبي في أول يوم من شهر جانفي سنة 1905م بمدينة قسنطينة، وهي أعرق مدن العلم والتدين في الجزائر، نشأ في أسرة فقيرة ماليا، غنية في التدين والمحافظة وحب العلم والمعرفة، فقد كان أبوه موظفاً بسيطاً في إحدى الإدارات الحكومية في مدينة تبسة شرقي الجزائر[1]، يقول مالك بن نبي: " كنت في السادسة أو السابعة من عمري ، وكان وضع عائلتي قد ساء ماديا، فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وهجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب، فقد هاجر مع الموجة الأولى من الهجرة التي اجتاحت حوالي عام 1908م، مدنا كثيرة كقسنطينة وتلمسان، تعبيرا عن رفض أهالي البلاد معايشة المستعمرين". [2]

في ظل رحيل عائلته إلى تبسة نظرا لوضعها المعوز بسبب نتائج الاستعمار الذي عمل على تعميم الحرمان والبؤس والفقر والتشتيت في أوساط المجتمع الجزائري، تكفل بالطفل مالك، عمه الأكبر الذي كان مقيما بقسنطينة، إلا أنه توفي بعد فترة وجيزة. وبعد وفاة العم عاد مالك إلى مدينة تبسة حيث تقيم عائلته. يقول مالك عن هاته المحطة من حياته : " لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر. إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة، وكان قد تبناني منذ أمد بعيد، مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلف ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي. لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي" .[3]

المطلب الثاني: دراسته وعمله وترحاله إلى فرنسا

تعلّم مالك في تبسة حتى أنهى المرحلة الإعدادية (المتوسطة) سنة 1917م، وبسبب تفوقه الدراسي حصل على منحة لدراسة الثانوية، فاختار مدينته الأم قسنطينة، ورغم سفره إليها سنة

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2013م ، ص 37.

[2] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن "الطفل"، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 1984م، ص 16.

[3] – المصدر نفسه، ص 18 .

1917م، فلم يدخل المدرسة وقسمها الداخلي إلا في العام الدراسي 1922/1921م، حيث يبدو أنه ظل يتأهل لدخولها. وانخرط في ذات الفترة في التعليم الذاتي، حيث كان يتعلم بعض العلوم التقليدية على يد بعض المشائخ، وتعلم العلوم الحديثة على يد أستاذ فرنسي، وكان شديد الإقبال على قراءة الكتب الثقافية المتنوعة. [1]

ففي قسنطينة خلال دراسته التي تخرج منها سنة 1925م، وجد فرصة لمطالعة النزر اليسير من الكتب والمجلات التي تصل الجزائر، حيث تعرف على مشاكل العالم الإسلامي وما يدور به من أحداث، وكانت له الفرصة لمطالعة صحيفة النجاح، ونهل من مناهل الأدب العربي، ففي أحد مقاهي قسنطينة كان الصالون الأدبي يزوده بفرص الاطلاع على شعراء الجاهلية، وشعراء العصر الأموي، و العصر العباسي، وكذلك شعراء المدرسة الحديثة كحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، و الرصافي، وأبو ماضي، وطالع أم القرى للكواكبي، ومقدمة ابن خلدون مترجمة إلى الفرنسية، وكتاب الإفلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق لأحمد رضا، ورسالة التوحيد للشيح محمد عبده[2]، حيث كان هذين المؤلفيْن الأخيرين لرضا وعبده من أكثر المؤثرات الفكرية في مالك حيث يقول: "هذان المؤلفان أثّرا على ما أعتقد في أبناء جيلي من المدرسيين. أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري منذ تلك الفترة. لقد رسم لي كتاب أحمد رضا مزودا بالشواهد الكثيرة بهاء المجتمع الإسلامي في ذروة حضارته، وكان ذلك معيارا صحيحا نقيس به بؤسه الاجتماعي في العصر الحاضر. أما كتاب محمد عبده فقد أعطاني مستندا للحكم على فقره المحزن اليوم. كانت هذه الكتب تصحح مزاجي. ذلك الحنين إلى الشرق تركه في نفسي كتب فارير ولوتي وحتى لامارتين أو شاتوبريان، فعرفت تاريخ الشرق وواقعه، وأدركت بذلك ظروفه البائسة الحاضرة. هذه القراءات شكلت بالنسبة لي قوة أخرى من التنبيه في

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 38.

[2] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 25، 26.

المجال الفكري، إذ حالت دون انحرافي في الرومانطيقية[1] التي كانت شائعة في ذلك الجيل من المثقفين الجزائريين ".[2]

وقرأ في هذه الفترة أيضا كثيرا من المؤلفات الفرنسية، مثل "الإسلام بين الحوت و الدب" لأوجين يونغ، و" في ظلال الإسلام الدافئة" لايزابيل هارت، وجريدة "الإنسانية" التي يصدرها الحزب الشيوعي، وقرأ كتاب "كيف تفكر" لجون ديوي الأمريكي مترجماً للفرنسية.[3]

بعد التخرج من المدرسة قرر مالك ألاّ إلى يرجع إلى تبسة، وصمم على الذهاب إلى فرنسا مع صديق له، للعمل هناك، وعندما وصل إلى مرسيليا رأى بؤس العامل الجزائري، وصورة أخرى للاستعمار الفرنسي، وكانت وجهته في فرنسا مدينة ليون، حيث اضطر إلى بيع معطفه ليوفر أجرة القطار للذهاب لليون.[4]

وفي مكان قرب ليون عمل هو وصديقه في مصنع للإسمنت، وتعرف على بعض الجزائريين الذين وإن ضاق بهم الحال إلا أن سمة الكرم باقية فيهم، على الرغم من كل ما أصاب المجتمع الإسلامي من انحطاط منذ أمد بعيد، فالإسلام قد حفظ فيه الشعور الإنساني في مستوى لم يصل إليه العديد من البلاد المتحضرة، حسب مالك، ولم يطل به الأمر ورجع إلى مدينته الصغيرة تبسة.[5]

كانت وجهة مالك المهنية بعد عودته إلى أرض الوطن، معاونا قضائيا متطوعا بحكمة تبسة، وكانت له فرصة للتعرف أكثر على الريف الجزائري، من خلال جولات "باش عدل" المحكمة لتنفيذ بعض الأحكام القضائية، وفي هذا الريف وجد أن المسلم قد احتفظ بقيمه في سائر محن الحياة، والإسلام قد صقل الإنسان في شروط أقرب ما تكون إلى أخلاق الحضارة.[6]

---

[1] – الرومانطيقية أو الرومانسية هي مذهب أدبي يهتم بالنفس الإنسانية وما تزخر به من عواطف ومشاعر وأخيلة أياً كانت طبيعة صاحبها مؤمناً أو ملحداً. انظر وكيبيديا. https://ar.wikipedia.org .2016/03/27م. على الساعة 19:42.

[2] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 66، 67.

[3] – محمد العبدة، مالك بن بني مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 26.

[4] – المرجع نفسه، ص 29.

[5] – المرجع نفسه، ص 29.

[6] – المرجع نفسه، ص 29، 30.

وبعد العمل التطوعي في محكمة تبسة، جاءه الجواب من النيابة العامة تعرض عليه العمل في ثلاث محاكم كمعاون قضائي، واختار محكمة آفلو[1] غرب الجزائر، ثم انتقل بعدها إلى محكمة شلغوم العيد "شاتودان" وكانت هذه البلدة مركزا كبيرا للمستعمرين، و لم ينسجم مالك مع أعضاء المحكمة فاستقال و عاد إلى تبسة، وفي جلسة مع والديه قرر الذهاب إلى فرنسا من جديد، ولكن هذه المرة لإكمال الدراسة، وليس للعمل، حيث كان والده يريد منه دراسة الحقوق، حيث توجه إلى باريس عام 1930 م.[2] وفور وصوله سجل نفسه للمشاركة في امتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقية، ورغم أن اختبار القبول لن يكون صعبا بالنظر لثقافة مالك التي تؤهله للنجاح، إلا أنه لم ينجح، معتبرا السبب سياسي، حيث أشعره المعهد بعدم الجدوى من الإصرار على الدخول إلى معهده، واكتشف مالك بعد هذا أن الدخول لمعهد الدراسات الشرقية لا يخضع بالنسبة لمسلم جزائري لمقياس عملي، و إنما لمقياس سياسي.[3]

بعد أن تحطمت آمال مالك بن نبي في الحصول على القبول بمعهد الدراسات الشرقية، أشار إليه أصدقائه بالانتساب إلى مدرسة اللاسلكي، وقرر بعدها الالتحاق بمدرسة اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء، وهكذا غير اتجاهه من الدراسات النظرية إلى الدراسات العملية[4]، يقول مالك: " وانطلقت ويحركني إيمان الوارد على دين جديد. فكانت هذه الفترة الدراسية بالنسبة لي لا تقف عند حدود تهيئتي لدخول مدرسة اللاسلكي، بل غيرت جذريا اتجاهي الفكري، إذ أنها أسكنت في نفسي شيطان العلوم". [5]

تغيرت حياة مالك منذ ذلك الحين وأصبح همه الوحيد هو طرق أبواب المعرفة، يقول: " فلما دخلت إلى مدرسة الكلاسيكي، كنت الرجل غير الذي نزل قبل ثلاثة أشهر في باريس. لم تعد

[1] – آفلو: دائرة تابعة لولاية الأغواط جنوب غرب الجزائر، تبلغ مساحتها أكثر من 30 ألف هكتار. انظر: وكيبيديا. https://ar.wikipedia.org. 2016/04/10م. على الساعة 14:28.

[2] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 30، 31، 32.

[3] – المرجع نفسه، ص 33.

[4] – المرجع نفسه، ص 33.

[5] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص 219.

تجذبني أحلام الآفاق البعيدة، ولم يستملني مركز اجتماعي مرموق، لم يعد لي من حلم غير تحصيل العلم، وأصبحت أشعر كأنني حمّلت جميع آثام مجتمع يبحث عن الخلاص من بؤسه".[1]

في سنة 1931م تزوج مالك من سيدة فرنسية، سميت خديجة بعد إسلامها، وقد ساعدته كثيرا في تهيئة بعض الأمور المادية ليتفرغ للدراسة والمناقشات الطويلة، ويصف مالك هذه السيدة بأنها مهندس تجميل في ترتيب المنزل، ووفرت له كل سبل الراحة والعناية.[2]

تعرف مالك خلال فترة مكوثه بباريس على عدد من الإصلاحيين العرب، من بينهم صالح بن يوسف من تونس، ومحمد الفاسي من المغرب، وفريد زين الدين من سوريا، وتابع نشاط شكيب أرسلان في صحيفته "الأمة العربية" التي تصدر بالفرنسية من سويسرا . وكان من مؤيدي وحدة المغرب العربي، و من مؤيدي الإصلاح الجزائري.[3]

وعندما زار الجزائر سنة 1932 م لاحظ مالك تغيراً بدأ يدب في كيان وروح المجتمع الجزائري بسبب موجة الإصلاح التي اضطلعت بها جمعية العلماء المسلمين، قائلا: " فعندما وصلت هذه المرة وكانت زوجتي معي وقد قررنا أن نتعرف على بلادي، وجدت وجه المدينة قد تغير، فشعرت بذلك منذ الكلمات الأولى بيني وبين الحمّال الذي تكلف بحقائبنا منذ نزولنا من الباخرة. لم يكن الحمال يتكلم لغة عربية يراعي فيها قواعد الإعراب، ولكنها سليمة من حيث المفردات واللهجة كلغتنا الدراجة في تبسة. أيقنت أن هذا التغيير البسيط ستتلوه تغيرات جذرية لا محالة، ولم تكن تتصورها في ذلك الحين الإدارة الاستعمارية كما ثبت ذلك فعلا بعد عشرين سنة".[4]

توفي فقيه ومفكر الحضارة الإسلامية بعد مسيرة حافلة بالانجازات العملية والفكرية في 31 أكتوبر 1973 في الجزائر العاصمة، حيث ألف مالك بن نبي العديد من الكتب الفكرية القيّمة شديدة

[1] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص 219.

[2] – محمد العبدة، مالك بن بني مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 35.

[3] – المرجع نفسه، ص 34.

[4] – مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، مصدر سابق، ص 256.

الصلة بالنهوض الحضاري، ومعالجة مشاكل الأمة الإسلامية، والتي اعتبرت جواهر فكرية حضارية في عصرنا الرّاهن.[1]

المطلب الثالث: مؤلفات مالك بن نبي

ألف مالك بن نبي بعد مسيرة علمية ومهنية طويلة ما يزيد عن عشرين كتابا إلى وفاته سنة 1973م، حيث كانت كتبه عبارة عن مشاريع فلسفية فكرية إصلاحية حضارية، كما كانت محاولات للإجابة عن تساؤلاته العميقة، وهي الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، الفكرة الإفريقية الآسيوية، مشكلة الثقافة، أنقذوا الجزائر، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، البناء الاجتماعي الجديد، فكرة كومنولث إسلامي، تأملات، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ميلاد مجتمع، في مهب المعركة، آفاق جزائرية، مذكرات شاهد للقرن الجزء الأول والثاني، أعمال المستشرقين، المسلم في عالم الاقتصاد، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، بين الرشاد والتيه. وهنا سأسلط الضوء على كتاب شروط النهضة باعتباره أهم كتبه.

شروط النهضة:

يعد هذا الكتاب من أهم مؤلفات مالك بن نبي، صدر سنة 1948م، وتطرق فيه للحضارة والتاريخ وحركتهما، وينقسم إلى بابين: الحاضر والمستقبل.

تحدث مالك في الباب الأول عن دور الأبطال، دورة الفكرة والسياسة، دورة الوثنية. وفي دور الأبطال يعتقد أن كفاح المسلمين الجهادي في القرون المتأخرة كان كفاحاً بطولياً، فهم يقاتلون لا من أجل البقاء، ولكن في سبيل الخلود، أي يقاتلون كواجب مفروض عليهم، وغير ذلك من النقاط التي عالجت مواضيع الحاضر، اشتمل عليها هذا الباب. أما الباب الثاني فقد احتل الجزء الأكبر من الكتاب وتحدث في فصل "من التكديس إلى البناء"، عن حالة العالم الإسلامي ما بعد الموحدين، حيث بقي خارج التاريخ مستسلماً لأمراضه، ونوه فيه المؤلف أن دورة الحضارة الإسلامية انتهت بعد عصر الموحدين أي في القرن السابع الهجري، وعاش المسلون بعدها في خمود وركود. ويتطرق هذا

[1] – موقع مالك بن نبي: http://www.binnabi.net. 2016/03/15م.الساعة 22:05.

الباب لشروط الدورة الحضارية، وعناصرها، والتوجيه للثقافة عبر التوجيه الأخلاقي، والتوجيه الجمالي، والتوجيه العملي، وتوجيه رأس المال.[1]

[1] – محمد العبدة، مالك بن بني مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 114، 121.

المبحث الثاني: محطات في حياة فتح الله كولن

المطلب الأول: مولده و نشأته

ولد الداعية والمفكر فتح الله في 27 أبريل 1941 م وفقًا لبطاقته الشخصية، لكن تاريخ ميلاده الحقيقي قبيل هذا بنحو عامين أو ثلاثة، فالمواليد في بيئته وعصره لم تكن تُقيَّد على الفور، وكثيرًا ما يشير في ذكرياته إلى أنه ولد قبل هذا.[1]

ينتسب فتح الله لأسرة متدينة تنتسب إلى آل البيت، في قرية كوروجوك التي تنتمي إلى محافظة أرضروم، وهي من أكثر المناطق تديّنا ومحافظة في تركيا، فقد اعتنقت الإسلام مبكراً على يد الرعيل الأول، من الصحابة الكرام أيام الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. وتقع هذه المحافظة في شمال شرق هضبة الأناضول.[2]

انحدر فتح الله كولن من صلب سكان الجبال وأَلِف الأعالي وهي بيئة تطبع لا محالة سكّانها بطباع خاصة استمرت في كل من انحدر من أصلاب هؤلاء، وفتح الله أحدهم. وكان منهم أسرة الأستاذ فتح الله وخاصة جده ووالده اللذان سيقومان بدور كبيرة في تهيئته وتكوين شخصيته، يضاف إلى هذه الرمزية رمزية أخرى هي رمزية القرية، الذي كانت ينتمي إليها، فاسمها يدل على أنها كانت فعلا قلْعة محصنة لأنها استطاعت أن تحافظ على صفاء طويتها، وأن تحافظ على فطرتها من كل الاختراقات الثقافية والفكرية التي كانت تركيا عرضة لها خلال عقود من الزمن.[3]

أمّا طفولته وفتوته فلم تكن كتلك التي عاشها أقرانه، فلنشأته مناخ متميز هيّأته له خصائص أسرته، وملازمة أهل الذِّكر والقلوب النيّرة لبيتهم بسبب حب والده رامز أفندي للضيوف عامَّة وللعلماء خاصة، ومن حديثه عن هذه الفترة: "للعلماء والمشايخ رعاية وحظوة خاصَّة في بيتنا، ومن

[1] – أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، مرجع سابق، ص 22.

[2] – فؤاد البنا، عبقرية فتح لله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الطبعة الأولى، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م، ص 26.

[3] – محمد جكيب، أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، الطبعة الأولى، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2013م، ص 128.

المحبوبين المشهورين الذين كانوا يأتون بيتنا على الدوام الشيخ أوارلي محمد لطفي أفندي، وأخوه السيد وهبي أفندي، وسرّي أفندي، وشهاب الدين أفند. لم أجالس أترابي وأقراني قطّ في طفولتي أو فتوتي، فديدني أن أجلس إلى الكبار وأصغي إليهم، حتى أصبح ذلك خلقًا فيّ، ولوالدي أثر كبير في هذا، فحديث هذه المجالس تطرب له الآذان وتستملحه العيون، لا سيما حديث الشيخ أوارلي فكلما حدثك قلت: هل من مزيد؟ وربما لم أستطع فهم كلّ ما كان يقول، لكني كنت أحفظه كلّه، فأحكيه لأمّي وجدتي وأزواج أعمامي، وهذا له مذاق خاصّ عندي".[1]

بدأ ابن الرابعة يتعلم القرآن الكريم بالتزام ودقّة عالية، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في قريته عامين أو ثلاثة، إلا أنه تركها عام 1949 م، عندما عيّن والده رامز أفندي إمامًا في قرية ألوار، ثم استكمل الابتدائية في أرضروم بالانتساب.[2] حيث كان حظ الطفل محمد فتح الله من التعليم النظامي الرسمي الأتاتوركي قليلاً مقارنة بحظه من التعليم غير الرسمي، فهو لم ينتظم في التعليم الحكومي إلا مدة سنتين ونصف السنة من المرحلة الابتدائية فقط، أمضاها في مدرسة متواضعة بقريته " كوروجك " في نهاية الأربعينيات من القرن الماضي. وكانت العلمانية الأتاتوركية المتشددة ضد الدين لا تزال في عنفوانها آنذاك. أين قرر والده رامز أفندي أن يمنعه من الذهاب إلى المدرسة، نظرًا لما كان يلاقيه من عنت من أجل أداء الصلاة .[3]

ابن الرابعة بدأ أيضاً الصلاة وواظب عليها، قائلا: " ربما أخطأت في أداء الصلوات حينئذ"، وكان لا يتهاون في أداء الصلاة وهو في المدرسة ولو على مقعده، رغم سخرية أحد معلميه وغضبه، أما المعلمة بلْماء هانِم- وهي من إسطنبول - فكانت على خلاف مع هذا المعلم، فهي تجيد فن الحديث مع طلابها، وتثني على فتح الله في اجتهاده وتفوقه وأدبه، وجدت اسمه ذات مرة في قائمة الشغب في الفصل، فقالت له في دهشة "حتى أنت؟ " ، وكانت هذه المعلمة على يقين بأنّ لتلميذها

[1] - أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، مرجع سابق، ص 22.

[2] - المرجع نفسه، ص 22، 23.

[3] - موقع الأستاذ فتح الله كولن: http://ar.fgulen.com. 2016/03/10م. على الساعة 11:53.

مستقبلا واعدًا، وقالت في هذا لطلابها مشيرة إلى فتح الله: "كأني أرى الآن بينكم ضابطًا شابًّا يصول ويجول على جسر غَلَطَة ".[1]

تضيف معلمة فتح الله: " لم يكن فتح الله كغيره من الطلاب، فهو ولد وقور، مجتهد، محترم، واسع الأفق، كنت أفخر به. لم يكن مشاكسًا كغيره، كان قوي البنية أبيض، يجلس في آخر الفصل عند النافذة، ينظر إلى المعلِّم بيقظة وانتباه، لا يتباهى بنفسه أبدًا، متزنًا جدا، يشاهد ما يقع من أحداث، ولا يقحم نفسه فيها ألبتة، إذا عزم على أي شيء فعله، كان رزينا، من خلقه ترك ما لا يعنيه، يراقب عن بعد ولا يُقحم نفسه، دائم التفكر، بعيد الغَوْر، الأدب والهدوء شيمته. أنا بوصفي تربوية أفخر به، لما قام به من إنجاز في التربية والتعليم في تركيا وأنحاء العالم كافة وهو دور الرّائد في تعريف العالم كلّه ببلدنا وأمتنا، فما قام به يكفي لكي أفخر به".[2]

حفظ الفتى فتح الله القرآن الكريم عام 1951 م، وكان إذا حفظ وِرده راح يساعد أمّه في البيت أو عكف على الكتب يقرأ ويقرأ، لقد قرأ كتب أبيه كلّها لا سيما كتب حياة الصحابة الكرام، فهو يتقن قراءة الكتب العثمانية منذ صغره، وفي هذه الفترة أخذ عن والده اللغة العربية والفارسية، ولما حفظ القرآن، أخذ التجويد عن الحاجّ صدقي أفندي في"حسن قلعة"، ولم يكن له مسكن هناك، فكان يمشي كلّ يوم مسافة 8 -7 كيلومترات من أَلْوار إلى حسن قلعة وهي منطقة تابعة لمحافظة آراضوم. ألقى فتح الله في تلك الحقبة أول موعظة، فكانت نموذجًا مهمًّا كشف عن غزارة علمه ومهارته الفذّة في الخطابة. وكان أبوه رامز أفندي يعظ الناس في رمضان بعد الإفطار في مسجد قرية أَلوار، فتأخر ذات ليلة، وكان فتح الله يغدو إلى المسجد مبكرًا، وعمره آنذاك أربعة عشر عاما، فاجتمع المصلون، فإذا بوجيه من أَلوار يحظى باحترامهم جميعا يُدعى كاظم أفندي ينظر إلى الفتى فتح الله، فتلتقي أعينهما، فينهض كاظم أفندي ويُلبس فتح الله جبة رامز أفندي وعمامته في دهشة غمرت المصلين وفتح الله أيضًا، فسنّه أصغر من أن يقف مثله ليعظ هذا الحشد، بل إنّه لم يكن يطول كرسي الوعظ، فحملوه وأجلسوه عليه، وما إن شرع في الموعظة حتى أخذت الجماعة، التي لم

[1] – جسر غلطة هو جسر يصل ما بين الضفة الشمالية والجنوبية من القرن الذهبي في إسطنبول. كان يسمى "جسري جديد" أي الجسر الجديد. تم إنشائه في عام 1845 م.انظر: وكيبيديا. https://ar.wikipedia.org .2016/03/11م. على الساعة 17:32.

[2] – أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، مرجع سابق، ص 24.

تجد تفسيرًا لتقديم هذا الفتى لكرسيّ الوعظ تنصت إليه بذهول، وكم عجبوا لصوته الذي يدوّي من على كرسي الوعظ، فكان لموعظة الفتى أبلغ الأثر على الجماعة[1].

وصف الأستاذ فتح الله نظام مذاكرة الدروس فقال: "أذاكر دروسي الأول فالأول، أقضي الليل في المذاكرة ولا أنام إلا قليلا، أستضيء بشمعة، فلا حيلة لي سواها، ولا تمر ليلة دون أن يمرّ المعلم بي يتفقدني خفية، فيسعد بي كلما رآني أذاكر". [2]

أثناء رحلة الطلب المعرفي تعرف على رسائل النور سنة 1957، وكان عمره 19 سنة، وهي لمجدد تركيا قبل كولن، بديع الزمان سعيد النورسي[3]، حيث كانت هذه الرسائل قناديل من النور بهرته، وسحرت لبّه، ووجد فيها ضالته، ولذلك أحب فتح الله بديع الزمان حباً جماً، وتلمذ نفسه عليه، حتى صار أحد أنجب تلاميذه، رغم أنه لم يلتقي به وجها لوجه أبدا، بل وتفوق على من تتلمذوا عليه مباشرة، في استلهام فكره وتطويره ومأسسته، في مشاريع تبني الإنسان وتعمر الأرض.[4]

المطلب الثاني: كولن الإمام، والعسكري، والداعية

عين الأستاذ إمامًا لمسجد"الشرفات الثلاث" بأدرنه التي كان يقدم الخدمة فيها للناس، ويدرس مختلف العلوم، وسرعان ما صاغ لنفسه عقد حبّ واحترام هناك، ولما كان هذا المسجد في مركز المدينة كان يأتيه وجهاء أدرنه وبعض المسؤولين أيضًا.[5]

استدعي الأستاذ فتح الله للجيش في شهر نوفمبر عام 1961م، فودّعه جمع يبلغ الأربعين من محبيه عند انطلاقه من"قرق أغاج " إلى المنطقة العسكرية، وقد خدم في أنقرة في كتيبة، سبق وخدم بها

[1] – أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، مرجع سابق، ص 26، 27 .

[2] – المرجع نفسه، ص 26.

[3] – سعيد النورسي المعروف ببديع الزمان نور الدين النورسي، هو عالم مسلم كردي من عشيرة أسباريت أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في عصره، ولد سعيد النورسي سنة 1294هـ الموافقة لسنة 1877م في قرية نورس، الواقعة في شرق الأناضول بكردستان تركيا، من أهم مؤلفاته، رسائل النور. توفي سنة 23 مارس 1960م. أنظر جمال الدين فالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي، بديع الزمان سعيد النورسي "قراءة جديدة في فكره المستنير"، الطبعة الأولى، دار الزنبقة، القاهرة، 2014.

[4] – فؤاد البنا، عبقرية فتح لله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، مرجع سابق، ص 27.

[5] – أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، مرجع سابق، ص 39.

عمه من قبل، في السرية الأولى للاتصالات بالكتيبة الأولى بمنطقة" مَماق"، أين لفت الأنظار بجدّه وانتظامه، فتوطدت صلته بقيادة السريّة، علاوةً على أن بعض معارفه ذو صلة بقيادته، تدرّب أربعة أشهر بقطاع اللاسلكي وعمل فيه، ورغم أنه يؤدي الخدمة العسكرية كغيره، لكنه كان يرى أنه لا يؤدي مهمته حق الأداء، فرأى أن طعام الجيش لا يحلّ له، وكذا ملابسه المجانية، فاشترى ملابس عسكريّة من أحد الجنود الطلبة.[1]

كما بدأ الأستاذ فتح الله نشاطه الدعوي والتربوي في عدة مدن بغرب تركيا بداية الستّينيات من القرن الماضي، وواظب على أداء رسالته بصبر وجدية منذ ذلك الحين إلى اليوم . وذلك بعد تلقيه عن علماء المنطقة التي نشأ فيها علوم الفقه والتفسير والحديث والنحو والبلاغة والأصول ومقارنة الأديان. وقرأ في مختلف مجالات العلم والمعرفة فيما بعد، ودرس أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، وأمعن في قراءة منظِّري الإصلاح في القرون الأخيرة، وتابع التيارات الإصلاحية التي ظهرت في شتى البلدان الإسلامية، واستوعب النظريات الغربية الفلسفية والاجتماعية والعلمية والسياسية والأدبية الحديثة.[2]

أنشأ كولن عام 1994م "وقف الصحفيين والكتاب" الذي أصبح مؤسسة عملاقة أقامت عشرات الفعاليات داخل وخارج تركيا حول الحوار بين المثقفين والمفكرين والأديان والقوميات والمذاهب والطوائف، وتوزعت بين مؤتمرات وندوات حوارات ومحاضرات، شارك فيها نجوم الفكر والثقافة والأدب، والفن والرياضة من بلدان إسلامية وغربية مختلفة، ويتبع هذا الوقف عدد من وسائل الإعلام، لا سيما المجلات الثقافية والفكرية، إضافة إلى تسعة منتديات ضخمة محلية ودولية. [3]

أدرك فتح الله كولن في وقت مبكر أن المجتمع التركي، ومجتمعات العالم الإسلامي عامة تعاني من ثلاث علل كبرى هي: الجهل، والفقر، والتفرق. فنذر نفسه للدعوة إلى العلم والعمل لتفعيل مشروع تربوي متكامل، وحث الأثرياء على التضامن الاجتماعي ومساعدة الفقراء والاستثمار في مجالي التربية والتعليم، واتخاذ التواصل والحوار البنّاء سبيل لحل الخلافات المستشرية، وتأسيس ثقافة التعايش، ونشر السلام على كل المستويات المحلية والإقليمية والعالمية. وقد انتشرت أفكاره وأحلامه في كل الطبقات

[1] – أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، مرجع سابق، ص 39.

[2] – المرجع نفسه، ص 123.

[3] – فؤاد البنا، عبقرية فتح لله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، مرجع سابق، ص 31.

الاجتماعية، وكثر محبّوه في مختلف أنحاء العالم. وقد أكد دوماً في دروسه ومحاضراته أن مكمن المشكلة هو الإنسان، وما لم نُعد صياغة الإنسان صياغة صالحة فلن يتأتى لنا حل مشكلاتنا المستعصية، ومن ثم سعى طيلة حياته على أن يُخرج نموذج الإنسان المسلم المثالي المتمسك بجذوره الروحية، المنفتح على ثقافات العالم ومتطلبات العصر، الموفق بين العقل والقلب والسلوك، الواقف لخدمة الإنسانية كسباً لمرضاة الله تعالى، إيمانا منه بأن هذه هي رسالة الإسلام الحقيقية والسبيل التي سار عليها كافة الأنبياء، لذا تميزت كافة المشاريع التي حث على إنجازها ببعدها الإنساني الشامل حيث حرصت على خدمة الإنسان من حيث هو إنسان، دون تمييز بين عرق أو لغة أو دين أو ثقافة.[1]

وإلى جانب أعمال الإغاثة الإنسانية للمنكوبين وضحايا الحروب، فقد غطّت خدمات مؤسسات محبّيه القارات كلها، ولا سيما في مجال التربية والتعليم، حيث تميزت مدارسه المقدرة بالمئات داخل وخارج تركيا بالجودة العالية والتناغم بين معطيات العلوم والقيم الأخلاقية، مما جعلها تتبوأ المراتب الأولى وتحقق النجاح الباهر أينما فتحت في العالم، ويتنافس عليها النخبة والعامة ليسجلوا فيها أبناءهم.[2]

هاجر الأستاذ فتح الله كولن إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1997م، عندما وقع الانقلاب العسكري على حكومة نجم الدين أربكان، وعندما هدأت الأوضاع عاد لتركيا ليواصل دوره في قيادة تيار الخدمة الذي أصبح أحد أهم أسس النهضة التركية المعاصرة. وبسبب وجود مخاطر على حياته من بعض الجهات الخفية التي تستهدف اغتياله في تركيا لإحداث فتنة داخلية نظرا لاضطراب الوضع بها آنذاك، سافر من جديد إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 21 مارس 1999م، وهو مقيم في ولاية بنسلفانيا إلى يومنا هذا، متخذا منها منطلقاً لكل أعماله الخدمية والتعليمية والعلمية والفكرية.[3]

[1] – أرطُغرول حكمة، فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر، مرجع سابق، ص 123، 124.

[2] – المرجع نفسه، ص 124.

[3] – فؤاد البنا، عبقرية فتح لله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، مرجع سابق، ص 31، 32.

المطلب الثالث: مؤلفات فتح الله كولن

بفضل المصادر التي انفتح وعيه عليها وهي القرآن الكريم، والسنة، وسيرة الرسولﷺ، تشكلت مرجعية كولن في التبليغ والإرشاد والدعوة والتنوير الفكري، وفي التربية والتعليم، وفي تجديده للخطاب الإسلامي، وفي رؤيته الكلية للعالم والحياة، وأثمر حبه للقرآن والرسول وصحابته أيضًا مؤلفات رصينة، نذكر منها[1]:

1- كتاب "النور الخالد" محمدﷺ مفخرة الإنسانية: وهو في سيرة الرسول الأعظم، وبه قسم في علم الحديث وأوصوله، وقسم في سيرة الصحابة الكرام. اختط كولن في هذا الكتاب منهجًا جديدًا في التعريف بالرسول، وبين كيف يمكن للمسلم المعاصر أن يقتدي به وبصحابته الكرام في حياته اليومية، دون أن ينعزل عن معطيات الزمان والمكان الذي يعيش فيه.

2- كتاب "روح الجهاد وحقيقته في الإسلام": يعرض هذا الكتاب شمولية الإسلام في تناول قضايا الحياة كافة وتوفيقه بين شؤون الدنيا، كما يشرح الجهاد الأصغر والأكبر بشكل تفصيلي، إذ يشير المؤلف إن الجهاد في سبيل الله يجري في جبهتين اثنتين: الأولى، موجهة إلى الداخل. والأخرى موجهة إلى الخارج. معرفاً كلاً من الجهادين بالآتي: جهاد الداخل هو بذل الجهد إلى الداخل وهو عبارة عن عملية إيصال الإنسان إلى ذاته وإلى ربه. أما الجهاد الآخر الموجه إلى الخارج فهو عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربهم. ويطلق على الأول "الجهاد الأكبر" وعلى الثاني "الجهاد الأصغر". حيث إن الإنسان بالأول يبلغ معرفة نفسه بعد اجتيازه العقبات بينه وبين نفسه حتى يبلغ معرفة الله ومحبة الله والذوق الروحاني. أما بالثاني فيتحقق بإزالة الموانع بين الإنسان والإيمان بالله سواء بالنضال أو القتال، لإيصاله إلى الله -تعالى- ومن ثم التعرف عليه والعروج في معرفته.

3- كتاب "أضواء قرآنية في سماء الوجدان": فيه اجتهادات ملفتة بمنهج غير مسبوق في فهم آيات القرآن الكريم. وقد سجل المؤلف فيه أهم ما تلقّاه من ومضات والتماعات وإشارات من بعض ما

[1] - ملحق مجلة حراء التركية، فتح الله كولن أشواق أمة واستنهاض حضارة، العدد: 18 جانفي- مارس 2010 م، ص 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49. وانظر أيضا موقع الأستاذ فتح الله كولن http://ar.fgulen.com. 2016/03/14م. على الساعة 21:38.

تألق في سماء وجدانه المرهف من نجوم القرآن. منوها أنه ليس في معرض التفسير لما تناوله من آيات قرآنية .

4-كتاب "ترانيم الروح وأشجان القلب": هذا الكتاب عالج قضايا إيمانية عظيمة الأهمية، بأسلوب أدبي رشيق يستطيبه وينجذب إليه القرّاء مهما كانت مستوياتهم الثقافية والفكرية.

5-كتاب "الموازين أضواء على الطريق": هذا الكتاب عبارة عن نظرات في شؤون الحياة والفكر والأدب، الخير والشر، الحق، الدنيا، الشعر، البصيرة، الطبيعة، الروح، الأمة. أيضا هذا الكتاب جملة خبرات صاغها الكاتب بأسلوب حكم وكتلة معارف متنوعة في شتى أمور الحياة.

6-كتاب "أسئلة العصر المحيرة": في هذا الكتاب أوضح المؤلف أنه كلما شاب الزمن وتقدم ازدادت شبابية القرآن الكريم. فكلما تقدمت العلوم والتقنية فهِمْنا الآيات المتعلقة بالعلوم فهمًا أكثر وأعمق وأصح، وهذا ما يقوم عليه الكتاب بالشرح بالأدلة والأمثلة. واستخدم المؤلف المقارنة منهجاً بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من ناحية البلاغة والفصاحة ليتأكد القارئ أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام سيد البشر محمد ﷺ، فهناك آيات تتعلق بالعلم والتقنية كان من المستحيل معرفتها قبل 14 قرنًا. هذا الكتاب مكون من أربعة أجزاء.

7-كتاب "حقيقة الخلق ونظرية التطوّر": انطلق المؤلف في هذا الكتاب من إشكالية لماذا أصبحت نظرية التطور أيديولوجية ؟ لأنها النظرية العلمية الوحيدة التي يمكن أن تؤدي إلى الإلحاد، لكونها تدّعي القيام بتفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى الخالق. فإذا فسّرت النظرية بدون تزييف حسبه، و ظهر أن كل نوع من أنواع الأحياء خلق على حدا، وأن الحياة لم تظهر نتيجة مصادفات عشوائية، لأن هذا أمر مستحيل، وأن الأحياء لم تتطور عن بعضها البعض، فلا يبقى هناك أي مجال أمام جميع العلماء سوى الإيمان – بالله تعالى- .

هذا الكتاب فرّغ من أشرطة محاضرات ألقاها الأستاذ "فتح الله كولن" قبل الثمانينات من القرن العشرين.

8-كتاب "ونحن نقيم صرح الروح": الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات قيّمة تحدثت عن بناء الروح و الحركية في الأمة الإسلامية، والنهضة والفكر وعلى من يكون عاتق الإصلاح.

9-كتاب "طرق الإرشاد في الفكر والحياة": هذا الكتاب يكاد كله يكون عملية تحريكية لهذا للنشاط الدعوي والتنويري، وهو يهدف إلى إرساء قواعد أساسية منظمة في "العمل الدعوي"

تحول بين الداعية وانسياقه إلى مجالات أخرى غير ملتزمة وغير منضبطة، وبذلك تحتفظ الدعوات بقواها وتمنعها من الإنفلات والتبدّد في غير فائدة ولا طائل.

10- كتاب "القدر في ضوء الكتاب والسنة": يتناول هذا الكتاب مسألة القدر التي عدت من مزلاّت الأقدام، قدّمها بأسلوب سهل مقنع من خلال أمثلة واقعية، وبيّن أنها مسألة حالية وجدانية، أكثر مما هي مسألة عقلية. والكتاب مفعم بالأجوبة الشافية المزيلة، لما علق في العقول من أدران الشبهات حول القضاء والقدر، و ما يتعلق بهما من العلم الإلهي، والمشيئة الإلهية، والخلق، والجزء الاختياري للإنسان، وماهية الجزء الاختياري. ويوضح الكتاب أيضاً مكاسب الإنسان بالقدر، ويحلل المسألة من خلال الآيات الكريمة والأحاديث، وإيضاح هيمنة القدر والتقدير و النظام والانسجام والتخطيط والميزان والاتزان، على الكون كله بدءاً من أصغر شيء إلى أكبره، سواء أكان حيًّا أو جامداً، كما يوضح بعدم وجود تناقض بين القدر الإلهي والإرادة الجزئية للإنسان، ويعقد موازنة بين المشيئة الإلهية ومشيئة الإنسان مبينا وظيفة الإرادة عند الإنسان.

الفصل الثالث

مسارات النهضة في الفكر الأوروبي والعربي

المبحث الأول: مسارات النهضة في الفكر الأوروبي

المطلب الأول: قرون العصر الوسيط العجاف والتمرد على سلطة الكنيسة

المطلب الثاني: العوامل المساعدة على نهضة أوروبا

المطلب الثالث: بعض أعلام عصر النهضة الأوروبية

المطلب الرابع: أهم نتائج النهضة الأوروبيّة

المبحث الثاني: مسارات النهضة في الفكر العربي

المطلب الأول: الإسلام في مواجهة الحملات الصليبية وغزوات هولاكو وتيمورلنك

المطلب الثاني: الأوطان العربية والإسلامية تحت السيطرة الاستعمارية

المطلب الثالث: أصوات الصحوة الإسلامية ترتفع من جديد

المبحث الأول: مسارات النهضة في الفكر الأوروبي

تمهيد

سيطر الفكر الكنسي على مجتمعات القارة الأوروبية خلال القرن الخامس عشر وما قبله، وأذاب الاجتهاد العقلي في نمطية التبعية للكنيسة والامتثال لنصوصها وقواعدها، التي لجمت كل محاولات الإبداع والتفكير. حيث كانت تلك السيطرة اللامنطقية على العقل مبعثاً ومحركاً لعقول استهوتها اليقظة نحو مستقبل أفضل للإنسان والبشرية.

المطلب الأول: قرون العصر الوسيط العجاف والتمرد على سلطة الكنيسة

كان للكنيسة الأوروبية في العصر الوسيط سيطرة قوية على عقول الناس وأفكارهم حتى باتوا يصدقون كل ما تطرحه من أقوال : " ترجع قوة الدين المسيحي إلى أنه يعرض على الناس الإيمان لا المعرفة، والفن لا العلم، والجمال لا الحقيقة، وقد فضله الناس في صورته هذه".[1]

كما أُستهدف الفكر الأوروبي في فترة العصور الوسطى بالتعطيل من طرف رجال الدين، حتى يبقى الإنسان مجرد كيان تابع لمؤسسة الكنيسة و تحت سيطرة الدين، بل ويلقى الاحتقار إلى حد اعتباره خطرا على سلطة المعبد: "استسلم العقل في العصور الوسطى للإيمان في أغلب الأوقات والحالات وجعل كل اعتماده على الله وعلى الكنيسة. وكان الناس يعتقدون أنهم تسيطر عليهم قوة أعظم مما تستطيع المعرفة البشرية أن تهبهم وكانوا في العالم المسيحي، كما كانوا في العالم الإسلامي يسلمون أنفسهم إلى الله، كما كانوا حتى في دنسهم، وعفتهم، و فجورهم يبتهلون إليه لينجيهم، لقد كان هذا عصراً ثملاً بنشوة الإيمان بالله".[2] وبالتالي كانت اهتمامات المجتمعات الأوروبية آنذاك بدل العمل والخوض في المعارف والعلوم، وشتى ميادين الإنتاج، منحصرة في العمل على الطهارة ونيل رضا الله والتخلص من الدنس، والاستعداد لاستقبال يوم الحساب الذي خيّل لهم أنه بات وشيكاً: "وقد وجّه كثير من المسحيين همهم كله إلى العمل على أن يستقبلوا يوم الحساب الرهيب، طاهرين من الدنس، فكانوا لذلك يرون في كل لذة من ملذات الحواس غواية من غوايات الشيطان، ولهذا أخذوا

[1] – ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، ، دار الجيل، بيروت، دت، الجزء 16، ص 12.

[2] – المصدر نفسه، ص 13.

ينددون بعالم الجسم ويعملون لكبت الشهوات بالصوم وبكثير من أنواع التعذيب البدني، وكانوا ينظرون بعين الريبة إلى الموسيقى والخبز الأبيض والخمور الأجنبية والحمامات الدافئة، وحلق اللحية".[1]

وهنا يتّضح مكمن العداء الذي سلّط على العقل في أوروبا في ذلك الحين حتى يظل رهينة لرجال الدين، وهذا الوضع شبيه تماماً بما نعيشه في العالم الإسلامي في راهننا، حيث تتم عملية تعطيل العقل المسلم وتسطيحه وتقييده وفرملته وكبحه عن الخوض في شتى المجالات المعرفية والعلمية من الذات والداخل، بحج دينية لا أساس لها من الصحة.

وقد وصف مؤرخو أوروبا بداية تمرد العقل على هيمنة الكنيسة وتحرره في نهاية القرن الخامس عشر الذي حمل بوادر التمرد على رجال الدين، بـ"عصر النهضة"، وعرف بحركة إحياء العلوم و الآداب بدون قيود، ويتضح أنه وإن كان علماء العصور الوسطى قد أساؤوا لعلوم فترتهم من حيث أنهم أخضوعها لآرائهم التي ظنوا أنها أحكام لذلك العصر، أو أنهم أهملوا بعضها، توافقاً مع رغبة الكتلة المسيطرة حينئذ أو رجال الدين، فإن علماء الحركة الجديدة– عصر النهضة– سلكوا مسلكاً مختلفاً.[2]

رواد هذه الحركة امتازوا بأنهم أعطوها كل عناية واهتمام ولم يدّخروا أي شيئا من طاقتهم، ودرسوا كل ما وقع تحت أيديهم من الكتب اليونانية والرومانية في الجوانب العلمية والأدبية، ودرسوا الآثار الفنية الباقية، وقد امتازت هذه الحركة بأن هؤلاء العلماء لم يكن دورهم هو مجرد نقل بقايا هذه الحضارة القديمة، بل عدلوا ما رأوا تعديله، وأضافوا ما يجب إضافته، والأكثر من ذلك أنهم أضافوا شخصيتهم على هذه العلوم بمختلف مجالاتها ومن ثم أبدعوا فأحدثوا نهضة جديدة.[3]

وسميت هذه الحركة حينئذ بالإحياء "Renaissance" حيث يعتبر روادها الفترة التي سبقتها بفترة سكون وجمود، ويجب انتشال الإنسان وإحياؤه منها، وكانوا يؤمنون بأن الحضارة الحقة قد اندثرت بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية العريقة، وقد عادت إلى وجود مرة أخرى على أيديهم، والواقع أنه توافر لهذه الحركة مجموعة من العوامل ساعدت على بعثها.[4]

---

[1] – ويل ديورانت، قصة الحضارة، مصدر سابق، الجزء 11، ص 282.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دط، دار الفكر العربي، 1999، ص 07.

[3] – المرجع نفسه، ص 07.

[4] – المرجع نفسه، ص 07.

مع بداية بزوغ شمس النهضة الأوروبية التي ألغت قروناً من الحكم الكنسي المتسلط من القرن العاشر تقريباً إلى نهاية القرن الخامس عشر، بدأ الإنسان بالقارة العجوز في استعادة حرية شخصيته ونزعته الفكرية الفردية، حيث كان لهذا التحول أثر كبير في بداية ظهور ما يسمى بحركة الإصلاح الديني والتحرر من قيود الكنسية، بل حتى مواجهتها بالنقد وفضح بدعها وخرافاتها وأخطائها التي كانت تروجها على أنها قيد ووحي سماوي.

بل طالبت تلك الحركة بإيقاف محاكم التفتيش، وما تجريه من قتل وحرمان على العلماء وأصحاب الفكر الحر المتعارض مع الفكر اللاهوتي، وهكذا أدت هذه الحركة إلى انقسام الكنيسة التي اخذ نجمها بالأفول تدريجياً ووضعت حدا لهيمنتها.[1]

كما أن هاته الحركة الإصلاحية التي ظهرت في أوروبا في أعقاب العصر الوسيط كانت متوّجة بظهور المذهب البروتستانتي Protestantism وكانت في انجلترا بقيادة اللورد جون كالفن[2]، وألمانيا مارتن لوثر[3] ، مع تسجيل ارتباط الحركة في انجلترا بنظيرتها في ألمانيا اللتان تزامنتا في ظرف واحد، ويمكن اعتبار حركة الإصلاح الديني في أساسها ثورة على البابا والكنيسة الكاثوليكية، والثورة على صكوك الغفران وحق البابا في تلقي اعترافات عباد الله.[4]

[1] – ضمد كاظم وسمي، النهضة الأوروبية وقضية الحرية، د ط، منتديات ليل الغربة، 2009، ص 28.

[2] – جون كالفن: هو مفكر لاهوتي ومصلح ديني فرنسي، مؤسس المذهب الكالفيني المنتشر في سويسرا وفرنسا وهو من القلائل من الفلاسفة الذين استطاعوا أن يطبقوا ما أنتجوه. انظر: وكيبيديا https://ar.wikipedia.org. 2016/04/20م. على الساعة 19:15.

[3] – مارتن لوثر: هو راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا، بعد اعتراضه على صكوك الغفران نشر في عام 1517 رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا. انظر: وكيبيديا https://ar.wikipedia.org. 2016/04/20م. على الساعة 19:20.

[4] – إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ص54 .

وكان "توما الأكويني" تحديدا هو من يخوض معركة الصراع واللاهوت ضد المتزمتين الذين لم يعترفوا بحكم العقل مثل القديس أغوسطينوس [1]، وكان ذلك بتأثير اطلاعه على الفكر العربي وإعجابه في قرارات نفسه بالرشدية. كما كان روجر بيكون أول داعية للعلوم التجريبية، وكان يشكو من أن الغرب متخلف بالنسبة إلى العرب، وقد استوعب الكثير من الفكر العربي وعرف العربية ويستشهد في الكثير من كتاباته بابن الهيثم، وبن سينا والكندي، وغيرهم من علماء العرب. ثم بعد ذلك أخذت الاكتشافات العلمية والعلوم التجريبية في أوروبا بالتطور، وتجدد صداها على يد فيلسوف العلم التجريبي فرنسيس بيكون.[2]

المطلب الثاني: العوامل المساعدة على نهضة أوروبا

توافر للحركة النهضوية الأوروبية مجموعة من العوامل الذاتية والخارجية ساعد على بعثها والتخلص من أغلال وسيطرة الكنيسة، ومن هذه العوامل :

الفرع الأول: الصلات الثقافية بين أوروبا الغربية ومراكز الحضارة الإسلامية

بلاد المشرق الإسلامي: وهي التي تعرضت للحملات الصليبية واستمرت قرابة قرنين من الزمان، وكان ذلك خلال فترة القرون الوسطى المتأخرة، وفي هذه الفترة كانت أوروبا تسير بخطى بطيئة في ظلمات 0الجهل، في الوقت الذي كانت فيه الحضارة الإسلامية تسير بخطى ثابتة في طريق تقدم العلوم والفنون والرياضيات والفلك والجغرافيا و التاريخ، وما إلى ذلك من جوانب العلوم.[3]

[1] – أغوسطينوس: فيلسوف لاهوتي، ولد في طاغاست المعروفة بسوق أهراس بالجزائر، ولد من أب وثني وأم مسيحية في 13 نوفمبر 354م. ألّف كتابه الشهير اعترافات أغوسطينوس، توفي في 30 أوت 430م. انظر: اعترافات القديس أغوسطينوس، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، الطبعة الرابعة، دار المشرق، 1991م، ص 01، 05، 06.

[2] – ضمد كاظم وسمي، النهضة الأوروبية وقضية الحرية، مرجع سابق، ص 14، 15.

[3] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 07.

شبه جزيرة ايبريا: حكم العرب شبه جزيرة ايبريا – الأندلس- ما يقرب من ثمانية قرون، وأصبحت خلالها قلعة علم ومنارة للحضارة، فأصبحت مقر للمدارس والمعاهد ودور العلم، ومقصد لطلاب العلم، حينذاك كانت قد ازدهرت بها دراسة الفلسفة والطب والرياضيات بأنواعها و الأدب والشعر.[1]

صقلية: وقد حكمها العرب مدة تزيد عن قرنين ونصف، ونقلوا إليها جوانب الحضارة الإسلامية حتى أصبحت منارة العلم وإشعاع الضياء لأوروبا، وقصدها طلاب العلم بما في ذلك الأوروبيون، وبعد أن سقطت صقيلة في يد النورمان لم يحاولوا إزالة الصبغة العربية، التي صبغها بها العرب، إنما حافظوا عليها وعملوا على تقدمها حتى استنفذوا أغراضهم منها واصطبغت بالحضارة الغربية.[2]

الفرع الثاني: شخصية الأعلام

كانوا شخصيات متميزة من ذلك الطراز الخلاق المبدع لا المقلد. حيث أننا نجدهم يطلقون لأنفسهم العنان في قراءة العلوم المختلفة ووضع التعديلات المناسبة دون قيد أو شرط مما حررهم من قيود العصور الوسطى.[3]

فكان هؤلاء المفكرين المجددين الأوروبيين هم الذين أوقفوا كل ما يملكون من مال وجهد في سبيل ازدهار هذه الحركة النهضوية، لذلك كانوا يبحثون عن القديم بكل شغف وشوق دون أن ينظروا إلى المقابل المادي من وراء ذلك، وبعد أن يجدوا ما يريدون يصبغونه بطابعهم الخاص.[4]

الفرع الثالث: ظهور الطباعة

من الأحداث التي رافقت وأفضت إلى تغيير جذري في حياة الأوروبيين ابتكار المطبعة المتحركة، فخلال الحروب الصليبية التي أمتدت إلى عدة قرون استطاع الأوروبيون أن ينقلوا الطباعة بالقالب من العرب إلى بلادهم، ثم أدخلوا عليها كثيرا من التعديلات والتغييرات إلى أن طوروها من الطباعة بالقوالب إلى الطباعة بالحروف المتحركة، حيث وضعت أول مطبعة متحركة سنة 1494م. علما أن

[1] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 08.

[2] – المرجع نفسه، ص 08.

[3] – المرجع نفسه، ص 08.

[4] – المرجع نفسه، ص 08.

الصينيين سبقوا العرب في استعمال الطباعة بالقوالب من القرن السادس في حين نقل عنهم العرب طريقة الطباعة منذ القرن الثامن الميلادي.[1]

الفرع الرابع: تطور وسائل الإنتاج ونمو العلاقات الرأسمالية

مما ساعد في هذا التحول وعجل فيه في أوروبا بعد عصور التخلف، حدوث تقدم نسبي في تطور وسائل الإنتاج الحرفي مكن الحرفيين من تكوين مجموعات لها ثقلها في الوضع الاقتصادي، بل ساهمت في تقدم تكنيك الإنتاج، وأدى هذا التحول التقني إلى حدوث اختلال في توازن الطبقات الاجتماعية وتفكك للنظام الإقطاعي، وحصول تراكم لرأس المال بمستويات عالية. [2]

المطلب الثالث: بعض أعلام عصر النهضة الأوروبية

نيكولو ميكيافيلي (1469–1527م): هو مؤرخ ومفكر سياسي إيطالي، ولد في فلورنسا سنة 1469م، تلقى قسطا مناسباً من التعليم حتى يلتحق بسلك العمل الحكومي، ومن ثم عمل في سلك الحكومة الفلورنسية، وقد تم إرساله في بعض الأحيان إلى بعض الإمارات الايطالية وإلى خارج ايطاليا لتحقيق بعض الأهداف الدبلوماسية والتي نجح في كثير منها، كما أنه تولى منصب سكرتير عام الحكومة الفلورنسية .[3]

ألّف ميكيافيلي الكثير من القصص المسرحية والأشعار وكتب كتابا سياسيا أسماه " تاريخ فلورنسا الفضائى" مستفيدا من عمله الحكومي كما أنه ألف كتاب الأمير والذي كان سببا في شهرته[4]. حيث يقول فيه: " يمكننا أن نرى الأمراء يفقدون ولاياتهم عندما يفكرون في مظاهر الترف أكثر من تفكيرهم في الأسلحة، والسبب الأول لضياع الولايات هو إهمال هذا الفن ".[5] ويقصد بالفن هنا هو الحرب و إدارة شؤونها.

[1] – ضمد كاظم وسمي، النهضة الأوروبية وقضية الحرية، مرجع سابق، ص 24.

[2] – المرجع نفسه، ص 19.

[3] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 24.

[4] – المرجع نفسه، ص 24.

[5] – نيقولا ميكيافيلي، الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، د ط، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004 ، ص77 .

وقد ألّف ميكيافيلي أيضا كوميديا اسمها "ماندراجولا"، و أخرى اسمها "كليزيا"، ورواية اسمها "بيلفجاجور"، وأخرى اسمها " سيرة كاسترو تشيو كاستراكاني " ، و كتابا في "تاريخ فلورنسا"، وآخر عن " إصلاح حكومة فلورنسا" ورسائل شخصية منشورة. لكن يبقى كتاب الأمير أشهر أعماله جميعاً لكونه يعتبر بداية الطريق في الفكر السياسي الحديث.[1]

دانتي اليجييري (1265–1321م): ولد دانتي في فلورنسا و تعلم في بادوا وبولونيا وباريس وعمل لفترة في الحكومة الفلورنسية، ويعتبر دانتي من رواد اللغة الايطالية حيث كتب بها كثيرا من إنتاجه الأدبي، وكتب كذلك باللاتينية، ومن كتاباته "الملكية" وهي عبارة عن رسائل فلسفية.

كما ألّف دانتي كتاب" الكوميديا الإلهية" وهو عبارة عن دائرة معارف، حيث جمع به العديد من العلوم، ومنها العلوم السياسية والفلسفية والدينية، كما أنه جمع به العديد من الثقافات كالثقافة الإغريقية واللاتينية والمسيحية والعربية، حيث أنه تأثر بالثقافة العربية التي انتشرت أوروبا بفضل اسبانيا التي حكمهما العرب.[2]

مايكل انجلو (1475–1564م): اشتهر انجلو في مجال النحت، وذلك منذ أن كان صغيرا، حيث سافر إلى البندوقية وروما، وهناك قام بنحت مجموعة التماثيل للآلهة الوثنية، وبعد وفاة سافونارولا[3] حزن حزنا شديدا، و من ثم ظهر ذلك الحزن في صورة العودة إلى الدين، فقام بنحت مجموعة العذراء والطفل الرخامية.[4]

---

[1] – لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة و النشر، القاهرة، 1987م، ص 75.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 28.

[3] – سافونارولا (1452–1498م) : هو متدين وسياسي إيطالي، ينتمي إلى نظام الرهبان الدومينيكان .أُدرجت مؤلفاته في الطبعة الأولى لفهرس الكتب المحظورة. كان زعيم فلورنسا منذ عام 1494 حتى إعدامه حرقا في عام 1498 . ينظر إليه أحيانا باعتباره بشيرا لظهور مارتن لوثر والإصلاح البروتستانتي. انظر: وكيبيديا https://ar.wikipedia.org. 2016/04/22م. على الساعة 23:07.

[4] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 28، 29.

ليوناردو دافنشي (1456–1519م): ولد ليوناردو في فلورنسا وكان هذا الفنان عالما شاملاً إذ أنه برع في النحت والرسم والهندسة، والموسيقى والرقص والكيمياء، وله كتب في التشريح، وهذه العبقرية أنتجت صورة الموناليزا الشهيرة المحفوظة في متحف اللوفر[1] الآن، والتي استغرق رسمها أربع سنوات أثبت فيها و بحق تفاصيل الوجه والإنسانة الجميلة.[2]

جيوفاني بوكاشيو (1313–1375م): تعلم في القسطنطينية العلوم الإغريقية ووصل إلى درجة عالية في هذه الدراسات، وكان يكتب الشعر والنثر باللغة الايطالية، ومن أهم كتبه التي ألفها في الأدب الايطالي كتاب "ديكاميرون"، والذي بدأه وعمره خمس وثلاثون عاما، وقد استعان في كتابه هذا بمؤلفات الكاتب جيفري تشوسر[3] .

ومما يحسب له في كتابه هذا هو أنه اهتم بالأخلاق وكان أسلوبه فصيحا واضح الأسلوب قوي التعبير، ولقد ترجم هذا الكتاب إلى كافة اللغات الأوروبية كما أنه يعتبر من أهم القطع في الأدب العالمي .[4]

[1] – متحف اللوفر من أهم المتاحف الفنية في العالم، يقع على الضفة الشمالية لنهر السين في باريس عاصمة فرنسا. انظر: وكيبيديا https://ar.wikipedia.org .2016/04/22م. على الساعة 23:20.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 29.

[3] – جيفري تشوسر (1343–1400م): هو شاعر إنجليزي عاش في القرن 14 في العصور الوسطى. يعرف لعمله المشهور "حكايات كانتربري" . ومن بين أعماله الأخرى المعروفة: "كتاب الدوقة" عام 1369م، و"ترويلس وكريسيد" عام 1385م. لقب بأب الشعر الإنجليزي، ويعد من أقدم الشعراء الإنجليز المعروفين. انظر: وكيبيديا 2016/04/20.https://ar.wikipedia.orgم. 2016/04/22م. على الساعة 23:35.

[4] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 26.

باولو توسكانيلي (1397–1486م): فلورنسي المولد والإقامة والموطن، كان علماً شهيرا في الفلك، وله آراء خاصة في حركة القمر والشمس والنجوم، وهي التي وافقه فيها كريستوف كولمبس[1]، وكذلك فان اختراعه للساعة الشمسية كان من أعجب الآلات الفلكية التي رآها العالم.[2]

توما الاكويني (1225–1274م): هو فيلسوف ولاهوتي إيطالي، ولد عام 1225م في قصر روكاسيكا بالقرب من أكوينو بايطاليا الجنوبية، وكان أبوه كونت دى أكوينو نبيلاً عليها، وبعد وفاة والده قرر أن يدخل الرهبنة الدومانيكية، وأسس مذهبا فيها سرعان ما اكتسب اعترافا واسعاً، أعلن سنة 1318م بأنه المذهب الرسمي للطريقة الدومينيكانية. ألف توما آلاف الكتب اللاهوتية والفلسفية، والأخلاقية، منها 1270 كتاباً يرد فيها على ابن رشد.[3]

فرانسيس بيكون (1560–1626م): هو فيلسوف تجريبي انجليزي، ولد في 22 جانفي 1560م لأبوين ينتميان لأسرتين عريقتين، فقد كان أبوه السير نقولا حامل الخاتم الأكبر في عهد الملكة اليصابات. كانت رسالته الفلسفية تدون حول موضوع واحد هو علاقة الإنسان بالطبيعة، حيث نادى لاستخدام التجربة والملاحظة وقام بتصنيف العلوم في أولى مهام الإحياء العظيم، وقسم الفلسفة إلى ثلاث أقسام هي: الفلسفة الإلهية أو اللاهوت الطبيعي، والفلسفة الطبيعية، والفلسفة الإنسانية.[4]

المطلب الرابع: أهم نتائج النهضة الأوروبيّـة

أولاً: ظهور الفكر الجديد حديث التفكير والآراء، حيث أنه قضى على التفكير الديني القديم، وبدأ التفكير الحديث من حيث التجربة والأبحاث والتنقيب للوصول إلى الحقيقة، ومن أمثلة هذا التفكير

[1] –كريستوف كولمبس: رحالة إيطالي إسباني مشهور، ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد "أمريكا". ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلك في جامعة بافيا . عبر المحيط الأطلسي ووصل الجزر الكاريبية في 12 أكتوبر 1492م، لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية عام 1498 م. انظر: وكيبيديا https://ar.wikipedia.org. 2016/04/22م. على الساعة 23:40.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 29.

[3] – ميلاد ذكي غالي، "الله" في فلسفة القديس توما الاكويني، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ت، ص 07، 09.

[4] – حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، الطبعة، الأولى، دار الثقافة، المغرب، 1981م، ص 5، 19، 37، 44.

بتاركك الذي بحث في مصادر أرسطو[1] ، وكان هذا هو من أول من قام بهذا العمل واطلع على كتب القدماء، واعتقد في أن ضوابط التفكير، لا يجب أن نركزها في الكتب فقط، و لكن يجب أن نضيف إليها التجربة و الفكر الحر.[2]

وكذلك ليوناردو دافنشي من أولئك الذين ابتكروا النظرية الحديثة في التفكير، حيث أنه كان يؤمن بأن التفكير الحديث ينقسم إلى شطرين، الأول هو الملاحظة و التجربة، و الشطر الثاني هو انشغال الفكر والحجة، والمخطوطات الموروثة عن دافنشي تدل على هذا، و من ذلك بعض المسائل المطروحة في هذه المخطوطات التي لم يتم الإجابة عليها إلا في الوقت الحاضر. ومن نتائج هذا التفكير الحديث هو كتاب "ثورة الأفلاك السماوية" لكوبرنيك البولندي، حيث أنه توصل بعد تجارب إلى نظرية أن الأرض تدور حول الشمس، وهذه النظرية تعاكس النظرية القديمة، التي قال بها بطليموس بأن الشمس هي التي تدور حول الأرض، ونشر هذا الكتاب سنة 1543م، وأهداه إلى البابا بول الرابع. [3]

ثانياً: الاهتمام بالتربية الجسدية إلى جانب التربية الذهنية، وهو تفكير حديث جدا ظهر في القرن الخامس عشر، و هذا هو ما يطبق الآن على نحو أوسع، وصاحب هذه النظرية هو "فلتري"، حيث اهتم بالرياضة كالسباحة وركوب الخيل، و التدريبات العسكرية على نحو حديث، و إلى جانب الرياضة اهتم بالدراسة اللاتينية. [4]

---

[1] – أرسطو: هو فيلسوف يوناني وعالم موسوعي ومؤسس علم المنطق وعدد من العلوم المعرفية، ولد عام 384 قبل الميلاد في مدينة استاغيرا بشبه جزيرة خلقدونية، وكان أبوه نيقوماخوس طبيبا لامنتاس الثاني ملك مقونيا، وفي سن الثامنة عشرة رحل إلى اثينا والتحق بأكاديمية أفلاطون، الذي أعجب به وسماه عقل المدرسة، وقد أسس أرسطو مدرسته الخاصة في أثينا عام 335 قبل الميلاد. انظر: أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998. ص 223.

[2] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 29.

[3] – المرجع نفسه، ص 30.

[4] – المرجع نفسه، ص 30.

ثالثاً: الاهتمام البالغ بالدراسات الإغريقية واللاتينية والعبرية، وبمعنى آخر كل الدراسات القديمة الموجودة بالقارة الأوروبية، ذلك أنها وجدت هوى لدى رجال ذلك العصر ورأوا أن هذه الثقافات هي أرقى ما وصل إليه الإنسان، وأن الإنسان لن يصل إلى درجة مرموقة دون دراسة هذه الثقافات بقدر مناسب، و معنى ذلك أن هذه الدراسة هي الجواز للوصول إلى درجة مرموقة في المجتمع.[1]

رابعاً : النتائج الهائلة التي خلفتها هاته الفترة في شتى الميادين العلمية من حيث المؤلفات العلمية مثل ثورة الأفلاك السماوية لكوبرنيك، وترجمة روكلين وارزم للعهدين القديم والجديد وما ظهر في الميدان الفني بشتى فروعه.[2]

[1] – عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث، مرجع سابق، ص 30.

[2] – المرجع نفسه، ص 30.

المبحث الثاني: مسارات النهضة في الفكر العربي

تمهيد

تعتبر حملة الحروب الصليبية[1] الممتدة من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر على الأوطان العربية والإسلامية، من إرهاصات أفول حضارة المشرق البالغ شعاعها الحضاري قلب أوروبا، التي كابدت كل معاني التخلف والظلام في كل أقطارها إلى وقت قريب. لكن هذه الفجوة الهائلة بين العالمين الغربي والعربي الظاهرة للعيان اليوم سببها الثورة الصناعية في أوروبا خلال القرن السادس عشر، التي غض العرب والمسلمين عنها الطرف، بل كانت تلك الثورة الناجحة المفصل التاريخي للانهيار الحقيقي للحضارة الإسلامية ووأد منتجاتها الحضارية المتراكمة على مر القرون.

المطلب الأول: الإسلام في مواجهة الحملات الصليبية وغزوات هولاكو وتيمورلنك

تعرضت البلاد العربية والإسلامية إضافة للحملات الصليبية مذ نهاية القرن الرابع الهجري، للموجات التركية المتعاقبة التي لم تعر للفكر والعلم أي اهتمام يُذكر، وظلت بلاد الشام حوالي قرنين من الزمان تحت سيطرة الأوروبيين، وفي القرن 7 هـ اكتسحت موجات المغول بقيادة" هولاكو " العالم العربي، واحتلت بغداد عام 657 هـ/ 1258م، وعاثت فسادا في البلاد وأحرقت ما في دور العلم والأدب من كتب ومخطوطات ثمينة، وبعد ذلك بقرنين تقريبا، زحف " تيمورلنك " على دمشق. حيث مثلت هذه العوامل بداية الضعف والانحلال في كيان الأمة بعد قرون من الازدهار.[2]

[1] – الحروب الصليبية (1096-1291م): هي تلك الحملات العسكرية الأوروبية الدينية على البلاد الإسلامية، كانت اثر تولي اوربان الثاني للكرسي البابوي في روما من سنة 1088 إلى 1099م. وكان هو الآخذ لقرار الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي، خلال مؤتمر دعا إليه في مدينة كليرمون جنوب فرنسا في 27 نوفمبر سنة 1095م. حيث لقيت دعوته للحرب على البلاد الإسلامية استجابة كبيرة من الجموع الحاضرة التي مثّلت كبار وجهاء فرنسا وباقي دول أوروبا. و كان اوربان يكن حقداً للإسلام والمسلمين سواء في الأندلس عندما كانت تحت المسلمين، أو في كامل المشرق الإسلامي. انظر: راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، الطبعة الثانية، مؤسسة إقرأ للنشر، القاهرة، 2009م، ص 50، 54.

[2] – علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،1987م، ص 11.

وقد استظلت الأقطار العربية بلواء الخلافة العثمانية لمدة تزيد عن ثلاثة قرون، لكن عظمة العثمانيين لم تستمر في تقدمها الرائع عبر الزمن، لشيء واحد هو ابتعادها عن القيم الإسلامية فيما أخذت تقوم به من الأمور، بحث عاودها داء العصور السالفة من الجبروت والطغيان، واحتقار ما سنّه الإسلام من عدالة وحرية ومساواة، ولو تمسكت بهذه القيم الخالدة فعرفت حقوق الرعايا في كل مكان، لنهضت بنفسها وبالعالم الإسلامي نهضة لا تزحزحه عن مكان الصدارة لحظة عين.[1]

وطوال القرون الثلاثة الأولى تحت حكم العثمانيين ظل العرب في عزلة تامة عن العالم الخارجي، بينما شهدت أوروبا نهضة علمية وأدبية رافقتها اكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد وعلى العديد من أقطار العالم القديم في إفريقيا وآسيا، واجتاحتها في القرن 18 ثورة صناعية، وأخرى سياسية واجتماعية قلبت أوضاعها رأسا عقب أعطتها مركز القيادة للعالم بأسره.[2] وكل هذه التطورات التي جرت في أوروبا كان العرب منغلقين عليها في ظل الحكم العثماني، فلا اختراع ولا تقدم في العلوم والصناعة، بل جمود فكري وترديد لما ورد في الكتب الفقهية والنحوية والصرفية.[3]

واقتصرت العلوم عند العرب في تلك الحقبة الزمنية على المعلومات القديمة في أصول الدين والفقه، والنحو، والصرف وبعض الحساب البسيط، والفلك القديم لمعرفة أوقات الصلاة، واكتفى العلماء العرب باجترار المعلومات القديمة دون الإقدام على أي تجديد .[4]

وفي هذا الوضع كان الدين هو المسيطر على حياة الناس الفكرية، وكان علماء الدين يشكلون الطبقة الفكرية الوحيدة في الأمة، يشاركهم في ذلك مشايخ الطرق الصوفية التي عم انتشارها مختلف في مختلف أنحاء البلاد العربية والإسلامية.[5]

[1] – محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1995، ص 12.
[2] – علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 11.
[3] – المرجع نفسه، ص 11.
[4] – المرجع نفسه، ص 11، 12.
[5] – المرجع نفسه، ص 12

المطلب الثاني: الأوطان العربية والإسلامية تحت السيطرة الاستعمارية

في بداية منتصف القرن التاسع عشر عاودت الحروب الصليبية الكرة على الأوطان العربية والإسلامية بعد قرون من توقفها، لكن هذه المرة بثوب جديد ولون آخر استجدته الثورة الصناعية التي ظهرت في أوروبا، من احتياجات للطاقة والثروات والمعادن وغيرها مما يزخر به دول الحوض الجنوبي والشرقي للمتوسط.

ففي سنة 1830م حشدت فرنسا قواتها للسيطرة على الجزائر، وكان لها ذلك حتى تم احتلالها كلها إلى الصحراء، رغم الثورات الشعبية التي واجهت هذا الغزو.

أما في سنة 1857م فتمكن الإنجليز من الاستيلاء على الهند سياسيا، وانتقلت سلطة الحكم رسميا من شركة الهند الشرقية "التي تأسست في 31 ديسمبر سنة 1600م، والتي انضمت إلى شركة أخرى جديدة في سنة 1689م" إلى التاج البريطاني، وزالت بذلك إحدى الدول الإسلامية الكبرى التي قامت في مستهل القرن السادس عشر الميلادي، وهي دولة المغول في الهند أو الدولة التيمورية "نسبة إلى تيمورلنك " مؤسس هذه الإمبراطورية الإسلامية في آسيا الوسطى، أما الدولتان الأخريان فهما، الدولة الصفوية في إيران، ودولة الأتراك العثمانيين في آسيا الصغرى وشرقي أوربا.[1]

وقبل هاتين الدولتين الاستعماريتين "إنجلترا وفرنسا" احتلت هولندا في بداية القرن السابع عشر جزر الهند الشرقية "أندونسيا" عن طريق شركة الهند الهولندية التي تأسست في سنة 1602. وذلك بعد ما ضاع استقلال البرتغال بإعلان ملك أسبانيا ضمها إلى بلاده عام 1580م، تلك الدولة التي عبدت طريق الاستعمار الغربي المسيحي في وسط آسيا وشرقيها في الهند وفي أندونسيا سنة 1511م، والتي حصل ملكها من البابا إسكندر على صك رسمي بأن البرتغال "سيدة بحار العرب والعجم والهند والحبشة".[2]

فبعد قرنين ونصف، أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمكن الاستعمار الغربي المسيحي من السيطرة التامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقيها، واتخذ له نقطة ارتكاز رئيسية في إفريقيا، كما تمكن من مد نفوذه إلى قلب العالم الإسلامي ومركزه

[1] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي، الطبعة الرابعة، مكتبة وهبة، القاهرة، د ت. ص 17.

[2] – المرجع نفسه، ص 17.

الرسمي في منطقة الشرق الأدنى، وبذلك طوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب، وسلط ألاعيبه ودسائسه على بقية التجمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين. فوهنت هذه التجمعات، وانحل عقدها، وسقط بعضها إثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي، وما إن جاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها، حتى أصبح العالم الإسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر.[1]

المطلب الثالث: أصوات الصحوة الإسلامية ترتفع من جديد

خلال السيطرة الاستعمارية على الأوطان والمجتمعات العربية والإسلامية، وطمسها لكل مقومات الهوية الدينية والثقافية والاجتماعية للأمة، ارتفعت أصوات الصحوة من جديد منادية بالتغيير، من وسط ركام هذا التخلف الحضاري، وبرز في الكيان أعلام ومعلمين ومفكرين وفلاسفة مجددين استوعبوا خيوط المؤامرة على الأمة، وذهبوا يقرعون كل سبل التجديد والنهوض الحضاري من جديد.

ومن بين هؤلاء المفكرين من حملوا فكره مسايرة حركة الاستعمار دون مواجهته ومقاومته، ودعا للاندماج في مشروعه في سبيل تحقيق الوثبة النهضوية بالاستناد على ما حققته تلك الدول التي أنتجت هذا الاستعمار. و من هؤلاء الأعلام أيضا من قاوم الاستعمار والاستبداد واعتبر رحيله عن الأوطان خطوة أولى في سبيل عودة مجد الأمة، و رفعتها الحضارية، حيث سأقدم خلال دراستي هاته نموذجين لهذين الاتجاهين في التجديد والإصلاح وهما احمد خان وجمال الدين الأفغاني.

الفرع الأول : أحمد خان (1817–1898م)

يعتبر أحمد خان أحد التقدميين والإصلاحيين المجددين في الهند الموالين للاستعمار، ولم يكن داعية فقط لهذا التجديد، أو لهذه التقدمية في الإسلام، وإنما كان كذلك صحفيا ومؤلفا، ومدرسا ومشرفا على كلية علمية دينية "الكلية الإنجليزية الشرقية المحمدية"، التي خرّجت الكثير من شباب الهند التقدميين، وتحولت الآن إلى "الجامعة الإسلامية" في الهند بعد تقسيم سنة 1948م، وفيها تدرس المسيحية بالعناية التي يدرس بها الإسلام، مع أخذ حظ وافر من العلوم الحديثة والنظم الجامعية الغربية

[1] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص 17، 18.

"الإنجليزية". كما كان لأحمد خان نفوذ سياسي تربوي في الهند، يقترن بنزعته التجديدية الدينية، التي أثرت بدورها فيما بعد في خلق المذهب "القادياني".[1]

فكره الإصلاحي

حركة أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يمسى العلم "Science "وبالمركبات الحضارية التي قامت عليه. وافتتانه بالعلم الطبيعي أو بالطبيعة جره لاتهامه بالإلحاد والخروج عن الملة والدين الإسلامي من طرف إصلاحيي ذلك الزمان. [2]

آراء مفكري الإسلام في أحمد خان

طعن المفكر جمال الدين الأفغاني في تقدمية ومذهب أحمد خان، و اعتبرها خدمة للاستعمار الانجليزي الذي كان وراء ولادة هذا المذهب الجديد والعقيدة المسايرة لمخططاته بالهند . وتذكر مجلة "العروة الوثقى" لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده التي صدر العدد الأول منها في 11 مارس سنة 1884م، والعدد الأخير وهو الثامن عشر، في 17 أكتوبر سنة 1884م، في أحد أعدادها وصفاً لهدف الحركة التقدمية التي قام بها أحمد خان في الهند فتقول: " لما استقرت أقدامهم –الإنجليز– في الهند وألقوا به عصاهم، ومحيت آثار السلطنة التيمورية "نسبة إلى تيمورلنك مؤسس دولة المغول في القرن السادس عشر الميلادي"، نظروا إلى البلاد نظرة ثانية فوجدوا فيها خمسين مليونا من المسلمين، كل واحد منهم مجروح الفؤاد بزوال ملكهم العظيم، وهم يتصلون بملايين كثيرة من المسلمين شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وأحسوا أن المسلمين ما داموا على دينهم، وما دام القرآن يتلى بينهم، فمحال أن يخلصوا في الخضوع لسلطة أجنبي عنهم، خصوصا إن كان ذلك الأجنبي خطف الملك منهم بالخديعة أو المكر تحت ستار المحبة والصداقة، فطفقوا –الإنجليز– يفتشون بكل وسيلة لتوهين الاعتقاد الإسلامي، وحملوا القسس والرؤساء الروحانيين على كتابة الكتب ونشر الرسائل، محشوة بالطعن في

[1] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص 27، 32، 33.
[2] – المرجع نفسه، ص 31، 32.

الديانة الإسلامية، مفعمة بالشتائم والسباب لصاحب الشريعة –برأه الله مما قالوا– فأتوا من هذا العمل الشنيع ما تنفر منه الطباع، ولا يمكن معه لذي غيرة أن يقيم على أرض تنتشر فيها تلك الكتب، وأن يسكن تحت سماء تشرق شمسها على مرتكبي ذلك الإفك العظيم".[1]

وتشير العروة الوثقى إلى أن الانجليز اصطنعوا مذاهب وروّجوا لها هدفها توجيه عقول وعقائد المسلمين لخدمة أغراضهم تقول: "وما قصدهم بذلك إلا توهين عقائد المسلمين، وحملهم على التدين بمذهب الإنكليز، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أخذوا في تضييق سبل المعيشة على المسلمين وتشديد الوطأة عليهم والإضرار بهم من كل وجه فضربوا على أيديهم في الأعمال العامة، وسلبوا أوقاف المساجد والمدارس، ونفوا علماءهم وعظمائهم إلى جزيرة "أندومان" رجاء أن تفيدهم هذه الوسيلة –إن لم تفدهم الأولى– في رد المسلمين عن دينهم بإسقاطهم في أغوار الجهل بعقائدهم حتى يذهلوا عما فرضه الله عليهم ".[2]

وقالت المجلة أيضاً أن الانجليز لما فقدوا الأمل في تحقيق المذاهب المختلفة والكتب التي تطعن في الإسلام لمخططاتهم، عمدوا إلى خطوة أخرى، لمحاولة اقتلاع الدين الإسلامي من أرض الهند والتخلص منه عبر شخصيات إسلامية معروفة يثق فيها العامة من خلال إغرائهم وتوجيههم: "فلما خاب أمل أولئك الحكام الجائرين في الوسيلة الأولى، وطال عليهم الأمد في الاستفادة من الثانية، نزعوا إلى تدبير آخر لإزالة الدين الإسلامي من أرض الهند أو إضعافه، لأنهم لا يخافون إلا من المسلمين أصحاب ذلك الملك المنهوب والحق المسلوب، فاتفق أن رجلا اسمه "أحمد خان بهادور" كان يحوم حول الإنكليز لينال فائدة من لديهم، فعرض نفسه عليهم وخطا بعض خطوات لخلع دينه، والتدين بالمذهب الإنجليزي، وبدأ الأمر بكتابة كتاب[3] يثبت فيه أن التوراة والإنجيل ليسا محرفين ولا مبدلين لينال بذلك الزلفى عندهم، ثم راجع نفسه فرأى أن الإنجليز لن يرضوا عنه حتى يقول إني نصراني، وأن هذا العمل الحقير لا يؤتى عليه أجرا جزيلا، خصوصا وقد أتى بمثل كتابه ألوف من القسس والبطارقة، وما أمكنهم أن يحولوا من المسلمين عن الدين أشخاصًا معدودة. فأخذ طريقا آخر

[1] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص 28.

[2] – المرجع نفسه، ص 28، 29.

[3] – هذا الكتاب اسمه "تبيان الكلام"، أخرجه سنة 1862م وفسر فيه الإنجيل. انظر: محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص 29.

في خدمة حكامه الإنجليز، بتفريق كلمة المسلمين وتبديد شملهم، فظهر بمظهر الطبيعيين الدهريين ونادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء، وليس لهذا الكون إله حكيم، وأن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله الذي جاءت به الشرائع. و لقب نفسه بالطبيعي، وأخذ يغري أبناء الأغنياء من الشبان الطائشين، فمال إليه أشخاص منهم، تملصا من الشرع الشريف وسعيا خلف الشهوات البهيمية، فراق الحكام الإنجليز مشربه، ورأوا فيه خير وسيلة لإفساد قلوب المسلمين، فأخذوا في تعزيزه وتكريمه وساعدوه على بناء مدرسة في "عليكره" وسموها مدرسة "المحمديين" لتكون فخا يصيدون به أبناء المؤمنين ليربوهم على أفكار هذا الرجل أحمد خان بهادور".[1]

وتذكر مجلة العروة الوثقى أن أحمد خان: "كتب تفسيرا للقرآن الكريم، فحرف الكلم عن مواضعه وبدل ما أنزل الله، وأنشأ جريدة باسم "تهذيب الأخلاق"، لا ينشر فيها إلا ما يضلل عقول المسلمين ويوقع الشقاق بينهم، ويلقي العداوة بين مسلمي الهند وغيرهم –خصوصا بينهم وبين العثمانيين– وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة، لكن لا يدعو إلا المسلمين. ونادى الطبيعة الطبيعة، ليوسوس للناس بأن أوروبا ما تقدمت في المدنية وما ارتفعت في العلم والصنعة، وما فاقت في القوة والاقتدار، إلا برفض الأديان، والرجوع إلى الغرض المقصود من كل دين –على زعمه– وهو: بيان مسالك الطبيعة ".[2]

وترى العروة الوثقى على لسان الأفغاني أن هناك من تأثر بمذهب خان في الهند وسار على منهجه وهو ما حمله على كتابة رسائل ترد على خان وتوضح أخطائه وبهتانه: "لما كنا بحيال الدين في الهند في سنة 1879م، أحسسنا من بعض ضعاف العقول اغترار بترهات الرجل وتلامذته، فكتبنا رسالة في بيان مذهبهم الفاسد وما ينشأ عنه من المفاسد، وأثبتنا أن الدين أساس المدنية وقوام العمران، وطبعت رسالتنا في اللغتين الهندية والفارسية اسمها الرد على الدهريين. هؤلاء الدهريين ليسوا كالدهريين في أوروبا، فإن من ترك الدين في البلاد الغربية تبقى عنده محبة أوطانه، ولا تنقص حميته لحفظ بلاده من عاديات الأجانب، ويفدي مصلحتها بروحه. أما أحمد خان وأصحابه، فإنهم كما يدعون الناس لنبذ الدين، يهوّنون عليهم مصالح أوطانهم ويسهلون على النفوس تحكّم الأجنبي فيها،

[1] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص 29، 30.

[2] – المرجع نفسه، ص 30.

ويجتهدون في محو آثار الغيرة الدينية والجنسية، لا لأجر جزيل ولا شرف رفيع، ولكن لعيش دنيء ونفع زهيد، وهكذا يمتاز دهري الشرق عن دهري الغرب بالخسة والدناءة، بعد الكفر والزندقة".[1]

ويقول "أبو الحسن الندوي" من كبار علماء الهند في كتاب له عنوانه "القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام"، متهماً القاديانية بولادتها من رحم السياسة الانجليزية: "قد تحقق علميا وتاريخيا أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية، فقد أهمّ بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد الشهير السيد الإمام "أحمد بن عرفان الشهيد" 1842م. وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء، وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية في صدور المسلمين في الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحي وكيف التف حوله وحول دعاته آلاف المسلمين، عانت منهم الحكومة الإنجليزية في الهند مصاعب عظيمة، وكانوا موضع اهتمامها".[2]

ويذكر أبو الحسن الندوي في موضع آخر أن القاديانية كانت شامتة في حركات التحرر والإصلاح في الهند، وتعتزل الواقع بالخوض في مسائل عقائدية غيبية: "وبقيت الجماعة القاديانية في عهد مؤسسها وبعده معتزلة عن جميع الحركات الوطنية وحركة التحرير والجلاء في الهند، صامتة –بل شامتة– لما دهم العالم الإسلامي من رزايا ونكبات على يد المستعمرين الأوروبيين وعلى رأسهم الإنجليز، مقتصرة على إثارة المناقشات الدينية، والمباحثات حول موت المسيح وحياته ونزوله، ونبوة ميرزا غلام أحمد، مما لا اتصال له بالحياة العامة، والمسائل الإسلامية، والحركات التي كانت مظهرا للغيرة الإسلامية والشعور السياسي في هذه البلاد. إن القاديانية تنشر في العالم الإسلامي الفوضى الفكرية، وعدم الثقة بمصادر الإسلام الصميمة ومراجعه وسلفه، وتقطع صلة هذه الأمة عن ماضيها وعن خير أيامها وأفضل رجالها، وتفتح باب الأدعياء والمتطفلين على مصراعيه وتسيء الظن بقوة الإسلام وحيويته وإنتاجه وتيئس المسلمين من مستقبلهم".[3]

[1] – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص 30، 31.

[2] – المرجع نفسه، ص 35.

[3] – المرجع نفسه، ص 36، 37.

الفرع الثاني: محمد جمال الدين الأفغاني (1839-1897)

ولد جمال الدين الأفغاني في قرية أسد أباد في أفغانستان سنة 123 هـ/1839م. وتقلى تعليمه في مدينة كابل، حيث تعلم اللغة العربية والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وكلام وتصوف، والعلوم العقلية من منطق ورياضيات وتاريخ. انتقل إلى الهند فتعلم اللغة الانجليزية، فجمع فيها بين الثقافة القديمة والحديثة. ثم رحل إلى مكة المكرمة حاجا سنة 1857م، وعاد إلى افغانسان فتولى رئاسة وزرائها في عهد الأمير محمد أعظم، إلا أنه عزل من منصبه إثر انقلاب دبّر ضد الأمير محمد.[1]

ثم ذهب إلى الهند ومصر حيث دخلها سنة 1870م واتصل ببعض أساتذة الأزهر وطلابه، ثم انتقل إلى الآستانة بناء على دعوة من السلطان عبد العزيز، الذين عينه عضوا في مجلس المعارف. وعاد إلى مصر سنة 1871م بعد حصول خلاف بينه وبين شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي، أين استقبله الخديوي اسماعيل ورئيس وزرائه رياض باشا بالترحاب.[2]

وفي أثناء إقامته بمصر توطدت علاقة الأفغاني بالشيخ محمد عبده، إلا أن توفيق باشا الذي تولى الخديوية بعد اسماعيل باشا أمر بنفي جمال الدين من مصر سنة 1879م. فغادرها إلى الهند حيث أقام ثلاث سنوات، اهتم خلالها بالدراسة والتأليف، ثم ذهب إلى باريس، ودعا الشيخ عبده إليه وكان آنذاك منفيا إلى بيروت فتم ذلك عام 1884م. وهناك في باريس أنشأ جمال الدين ومحمد عبده "جمعية العروة الوثقى"، وقد أصدرا المجلة لتدعو المسلمين للنهوض ببلادهم والثورة على المستعمرين والتحرر من الاستبداد والاضطهاد السياسي الداخلي. حيث بقي جمال الدين في أوروبا إلى أن عاد إلى إيران سنة 1886م بناءا على دعوة من الشاه ناصر الدين وتولى فيها وزارة الحربية. وبعد جولات في روسيا والعراق وانكلترا استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1892م إلى الآستانة وظل في دار الخلافة حتى وفاته سنة 1896م.[3]

[1] – علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 71.

[2] – المرجع نفسه، ص 71.

[3] – المرجع نفسه، ص 72.

فكره الإصلاحي

وقف الأفغاني الشطر الأكبر من حياته مقاوماً للاستعمار وفي الدفاع عن البلدان الإسلاميّة المهددة بخطر التوسع الأوروبي، فالقضية الأساسية لديه لم ترتكز على جعل البلدان الإسلامية قوية وناجحة، بل كان محور اهتماماته كيفية إقناع المسلمين بأن عليهم أن يفهموا دينهم الفهم الصحيح، وأن يعيشوا وفقاً لتعاليمه، لتغدوا بلادهم قوية حتماً[1]. كما كان لثقافة الأفغاني الإسلامية والغربية، والتجربة السياسية التي عاشها في عدة أقطار إسلامية، أثرها الواضح في آرائه في التجديد الديني والإصلاح السياسي والاجتماعي، ويبرز ذلك في تحليله أسباب تدهور الحضارة الإسلامية والضعف السياسي والانحلال الاجتماعي اللذين يعانيهما المسلمون، وفي الحلول التي قدمها والجامعة بين آراء الإصلاحيين السلفيين وآراء المصلحين الاجتماعيين المحدثين.[2]

وتقوم آراء جمال الدين الأفغاني في التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي على المبادئ التالية[3]:

1- يرى الأفغاني أن السبب الأول و العامل الأكبر في تدهور الحضارة الإسلامية وضياع مجد المسلمين هو إهمال ما كان سببا في النهوض و المجد و العزة و الملك، و هو ترك حكمة الدين و العمل بها وهي التي جمعت الأهواء المختلفة والكلمة المتفرقة، و كانت للملك أقوى من عصبية الجنس وقوته، وعلى هذه الأساس دعا إلى وحدة الشعوب وإزالة الفوارق بين الفرق الإسلامية، حيث أجمل عوامل النهوض بالأمم بتحرير العقل من الخرافات والأوهام وتوجيه النفوس وجهة الشرف والطموح.

2- تحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد.

3- التوفيق بين العلم والإيمان، إذ يعتقد الأفغاني أن لا خلاف بين ما جاء في القرآن و الحقائق العلمية.

---

[1] – البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798–1939، ترجمة: كريم عزقول، د ط، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د ت، ص 142.

[2] – علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 72، 73.

[3] – المرجع نفسه، ص 73، 74 .

4- التدقيق في النصوص الدينية واستخلاص الصحيح منها، و ذلك بالاعتماد على القرآن في المقام الأول، و على الحديث المتواتر و اعتباره من درجة القرآن في إثبات الحكم، وعلى إجماع المسلمين في صدر الإسلام.

5- رفض تقليد الغرب في مختلف نواحي الحياة دون ضرورة و بلا تمحيص وإمعان .

6- العمل على اطلاع علماء الإسلام على التيارات الفكرية الحديثة لقبول ما يتفق والشريعة الإسلامية، و يفيد المسلمين في حياتهم.

7- الدعوة إلى توحيد الفرق الإسلامية حيث استنكر جمال الدين الأفغاني انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة، و سعى إلى إزالة الخلاف بين الفريقين متهماً الملوك السنيين بتهويل أمر الشيعة لكسب ود العوام .

8- الدفاع عن الإسلام والحضارة الإسلامية في بلاد العجم والملل والأديان الأخرى، حيث نافح ودافع الأفغاني عن ملته في باريس وجادل كبار المفكرين الأوروبيين ومنهم ارنست رينان الأستاذ في جامعة السوربون، مبديا لهم أن الإسلام دين حضارة، يحض على طلب العلم وتنمية الفكر الإنساني، واستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.[1]

وقد مثّلت مختلف الحركات التجديدية والإصلاحية التي ظهرت في العصر الحديث في الأمة الإسلامية أهم أسباب يقظة المسلمين، و تحوّلهم من مرحلة الاستسلام للسيطرة الاستعمارية، والموت الثقافي والديني والاجتماعي بين براثنها، إلى مرحلة الصحوة واليقظة والتحرر من العبودية والانسلاخ من الهوية والثقافة الذاتية، والمناداة من جديد للعودة للحضارة ومجد الأمة الإسلامية.

وإضافة للإصلاحييْن الذين سبق التطرق لهما آنفاً، نذكر أن البلاد العربية والإسلامية عرفت ميلاد العديد من الأعلام والمفكرين المجدّدين الذين كان لهم الأثر البالغ في نشر الوعي في الأوساط المجتمعية بالأمة منهم رفاعة الطهطاوي، محمد عبده، الكواكبي، محمد رشيد رضا، محمد إقبال، خير الدين التونسي، شكيب ارسلان، عبد الحميد بن باديس، البشير الابراهيمي، محمد بن عبد الوهاب، بديع الزمان النورسي، أحمد أمين، عباس محمود العقاد، حسن البنا، عبد الحليم محمود، محمد فريد وجدي،

[1] – علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 75، 76، 77، 78.

محمود أبو العيون، رفيق عظم، عبد الرشيد حسين، عبد العزيز جاويش، طه حسين، محمد الخضر حسين، عباس محمود العقاد، الإمام محمد الغزالي وغيره من المتأخرين. وقد تمكنت هذه الحركات ومفكروها من تحقيق صحوة واضحة بل عارمة في الأوطان العربية، وأثمرت جهودهم بحصول يقظة و وعي لدى الشعوب، أين تحصلت في ذاك الحين كل الدول العربية والإسلامية على استقلالها من الاستعمار الصليبي، وطوت صفحته نحو بداية البناء الحضاري الذي اصطدم هو الآخر فيما بعد بمعوقات جديدة ومستجدات جيوسياسية أخرى متعلقة بصراع الأقطاب الإقليمية والدولية، لا زلنا نراه بين ناظرينا إلى اليوم.

الفصل الرابع

مقومات المشروع النهضوي عند مالك بن نبي وفتح الله كولن

المبحث الأول: مقومات المشروع النهضوي عند مالك بن نبي

المطلب الأول: مقومات النهضة

المطلب الثاني: عناصر الحضارة

المطلب الثالث: الدورة الحضارية

المبحث الثاني: مقومات النهضة عند فتح الله كولن

المطلب الأول: التجدّد بالإيمان

المطلب الثاني: الكينونة الذاتية

المطلب الثالث: المعقولية، "العقل والقلب"

المطلب الرابع : الفاعلية والنزعة العملية

المطلب الخامس: إنسان الفكر والحركية

المطلب السادس: الموازنة بين الشريعتين القرآنية والفطرية

المبحث الأول: مقومات المشروع النهضوي عند مالك بن نبي

تمهيد

يرى مالك بن نبي أن الحضارة هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ، حيث يبني المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج الأصلي لحضارته، و هذه الحضارة تتجذّر في محيط ثقافي يحدد سائر خصائصها التي تميزها عن الثقافات والحضارات الأخرى.[1]

كما يعرفها: "بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره. فالفرد يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه، بل ولا تستطيعان ذلك، وإنما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه". [2]

ويشير مالك في كتاباته إلى أن هناك علاقة وثيقة بين الثقافة والحضارة، وتَبرز أهميتها عنده باعتبارها ذات علاقة وظيفية مع الحضارة تهيئ لقيامها وتحافظ على استمرارها[3]، حيث يعتبر أن الثقافة: " – بما تتضمنه من فكرة دينية نظمت الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم– لا يسوغ أن تكون علماً يتعلمه الإنسان، بل هي محيط يحيط به، وإطار يتحرك داخله، يغذي الحضارة في أحشائه، فهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، وتتشكل فيه كل جزئية من جزئياته، تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بما في ذلك الحداد، والفنان، والراعي، والعالم، والإمام، وهكذا يتركب التاريخ".[4] ويضيف: "إنه لمن أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي ولذلك يجب أن نحددها كعامل تاريخي لكي نفهما، ثم كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع".[5]

---

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص 41.

[2] – المصدر نفسه، ص 42.

[3] – عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012م. ص 305.

[4] – مالك بن نبي، شروط النهضة، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص 85.

[5] – المصدر نفسه، ص 85.

المطلب الأول: مقومات النهضة

الفرع الأول: بناء شبكة العلاقات الإجتماعية

تكوّن المجتمع لا يتوقف على تشكل تجمّع عدد من الأفراد غايتهم تحقيق حاجات ذاتية وفيزيولوجية كما هو في عالم الحيوان، بل بعلاقات تفاعلية معينة تتشكل وتصطنع بين هؤلاء. يقول مالك: "هذه العلاقات الخاصة بعالم (الأشخاص) هي التي تقدم الروابط الضرورية بين الأفكار والأشياء في نطاق النشاط المشترك الذي يقوم به مجتمع ما. واجتماع الأشخاص في أي ظرف، وفي أي مكان هو التعبير المرئي عن هذه العلاقات في مجال معين من مجالات النشاط الاجتماعي".[1]

حيث يرى مالك أن المجتمع ينبغي له بعد الولادة الشروع في بناء شبكة علاقات اجتماعية لتكون بداية لتشكّل الحضارة، يقول :"لو أننا وجدنا في مكان معين و زمن معيّن نشاطا متآلفاً من الناس والأفكار و الأشياء دلّنا ذلك على أن الحضارة قد بدأت في هذا المجال، وأن تركيبها قد تم فعلاً (في عالم الأشخاص)".[2]

كما أن تحقيق الإجتماع بين الأفراد يعتبر ضمان لاستمرار وجودهم وضرورة لتعزيز تمساك الشبكة، وبدونه تتقزم العلاقات وتتشرذم مهما كانت قوة الأفكار التي تسبح في فلك أي مجتمع، ويضرب بن نبي مثالاً في النطاق الإسلامي بالتقاء المسلمين في المسجد واجتماعهم دورياً، ودور ذلك في تعزيز العلاقات الاجتماعية، يؤكد: "وأصدق ما يدل على ذلك في المجتمع الإسلامي اجتماع المسلمين في المسجد، في صلاة الجمعة مثلاً، فهذا الاجتماع يحمل في مضمونه أكبر المعاني التي تذكره بميلاده، فهو رمزه وتذكاره. فالرمزية والتذكارية لاجتماع الأشخاص موجودة في جميع المجتمعات ذات النموذج العقيدي، وهي متمثلة في المجتمع المسيحي في اجتماعات الأحد، التي تذكر بعهد المغارات الرومانية الأولى. كما أنها موجودة في المجتمع السوفيتي حيث يتذكر الناس بمشيتهم العسكرية، وأناشيدهم الوطنية، كل عام في الميدان الأحمر، الاجتماعات العالمية الأولى، قبل السابع عشر من تشرين الأول (أكتوبر) 1917 ".[3]

---

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، الطبعة الثالثة، دار الفكر ، دمشق، 1986م، الجزء الأول، ص 31.

[2] – المصدر نفسه، ص 31.

[3] – المصدر نفسه، ص 31، 32.

الفرع الثاني: تحقيق الفاعلية

يرى مالك بن نبي بأنه لابد أن تنصب إهتمامات العالم الإسلامي في هذه المرحلة حول مفهوم الفاعلية، وعلى الخصوص في مجال التسيير ووسائله.[1] إذ يشير بذلك للتجرّد من النمطية الفكرية السلبية البعيدة عن التطبيق والعمل في الميدان والمجال، والتركيز على التجسيد لكل الأفكار الصالحة، بدل تركها في مجالها المفهومي فقط.

كما رفض مالك كل انبعاث وتسويق للأفكار غير المرتبطة بالواقع المنطقي والعمل بالتجسيد، يقول: " ينبغي على كل مسلم أن يدرك هذه الأشياء، وأن يفكر جدياً في القضية، كي يدلي بالنصيحة الواقعية والإرشاد السليم، بالنسبة لاختيار المسوغات الكفيلة بخلق توتر جديد في النشاط الإسلامي".[2]

ويقصد مالك بالتوتر هنا هو الفاعلية التي من شأنها أن تحرك النشاط الإسلامي من الجمود والتراكمية إلى الحركية الفعلية في جميع المجالات.

ويعتبر أن عنصر الفاعلية هو الحركة الدافعة في الإنسان وتدخل في بناء الشخصية: "إن عنصر الحركة الدافعة في الإنسان أو ما نطبق عليه اسم الفعالية يدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثل النفساني لعناصر ثقافية معينة، يمتصها الفرد في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه. ولا شك أن الفعالية تتركب في بناء الشخصية بكل بساطة عن طريق تنسيق حركي تأليفي للمقومات الأولية: الفكر، اليد، المال بمعناه الصحيح أي باعتباره العمل المخزون".[3]

ويوضح ابن نبي أيضا أنّ هناك تلازمية بين حركة الإنسان والتاريخ وتتوّج بالإيجاب والسّلب، ففي تحرك وفعالية الإنسان تحرك للمجتمع، وفي جموده توقف للتاريخ أيضاً، يقول: "على أنني حينما أرى في حركة التاريخ حركة الإنسان وفي ركوده ركوده، فإن ذلك يضعني أمام مشكلة تتصنف تحت عنوان الفعالية فعالية الإنسان في التاريخ".[4]

---

[1] – مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، الطبعة الثانية ، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص 39.

[2] – مالك بن نبي، تأملات، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2002 م، ص47.

[3] – المصدر نفسه، ص 58.

[4] – مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 129.

الفرع الثالث: إعادة بناء الإنسان الجديد

يُعتبر الإنسان في فكر مالك بن نبي أهم حلقة في مشروع البناء الحضاري، فبناؤه وتقويم حركته تستدعي جهدا مضنياً من خلال عمليات الإعداد والتكوين الأخلاقي والنفسي له، ليكون في المسار الصحيح نحو تحقيق الايجابية والفعالية المطلوبة للنهوض بمجتمعه.

فالإنسان يُطلب منه حسب مالك الاهتمام بالعلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية، يقول: "إن العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعد خطرا في مجتمع ما زال الناس يجهلون فيه حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده، أشق كثيرا من صنع محرك أو ترويض قرد على استخدام رباط عنق".[1]

كما أن الإنسان بطبيعته يميل إلى نيل حقوقه، و قد يتثاقل عن القيام بواجبه على أكمل وجه، والأمة التي تصاب بمرض السهولة فإن من أهون الأشياء عليها أن تتكلف كثيراً في المطالبة بالحقوق، ونسيان والواجبات، وكان هذا منشأ سياسة الدجل التي كان يمارسها الزعماء يتقنون خداع الجماهير بشعارات براقة[2]، حيث لابد في هذا الإطار من بناء الإنسان الجديد على مسؤولية الواجب، يقول مالك: "إن الباب الثاني الذي ينبغي أن نعود منه للحضارة هو باب الواجب، وأن نركز منطقنا الاجتماعي والسياسي والثقافي على القيام بالواجب، أكثر من تركيزنا على الرغبة في نيل الحقوق، لأن كل فرد بطبيعته تواق إلى نيل الحق، والنفور من القيام بالواجب، إذن لسنا نريد من الفرد أن يطالب بحقوقه، فالطبيعة بحقوقه كفيل، بل ينبغي على مثقفينا وسياسيينا ومن يمثل كل سلطة، أن يوجهوا الهمم إلى الواجب".[3]

ويشخص مالك وضع العالم الإسلامي، ويوجهه إلى ما يجب أن يكون عليه بناءا على واجب الإنسان، فيؤكد: "لقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب، بل فيما يسودنا من عادات، و ما يراودنا من أفكار. وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من قيم الجمال والأخلاق. و ما فيها أيضا من نقائص تعتري كل شعب نائم. وبدلا من أن

[1] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2002 م، ص38 .

[2] - محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 94.

[3] – مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 30.

تكون البلاد ورشة للعمل المثمر والقيام بالواجبات الباعثة إلى الحياة، فإنها أصبحت منذ سنة 1936م سوقا للانتخابات. وصارت كل منضدة في المقاهي منبرا تلقى منه الخطب الانتخابية. فلكم شربنا في تلك الأيام الشاي، وكم سمعنا من الاسطوانات، وكم رددنا (عبارة إننا نطالب بحقوقنا)، تلك الحقوق الخلابة المغرية، التي يستسهلها الناس، فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب: طريق الواجبات".[1]

كما يرسم مالك خط الصعود الحضاري ومنحناه دائماً عند الحديث عن الحقوق والواجبات التي يجب أن يؤمن بها الإنسان ويجبل عليها. فالمجتمع الصاعد هو الذي يتسابق أبناؤه لأداء واجباتهم دون السؤال عن حقوقهم، والمجتمع المستقر حضارياً هو المجتمع الذي وصل إلى ذروته الحضارية وتوقف، وهو الذي تتوازن في الحقوق والواجبات، أما المجتمع الذي يتسابق أبناؤه للبحث عن حقوقهم دون القيام بواجباتهم فهو المجتمع الذي يسير في منحنى الهبوط.[2]

والإنسان المسلم أيضاً توجه إليه مسؤولية إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس حضارية ومواصلة تبليغ دعوته، يقول مالك: "يجب أن يأخذ المسلم مسؤوليته في إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس حضارية حتى يستطيع أن يتكلم مع الآخرين. لابد للمسلم أولا أن يساهم في بناء مجتمعه، كي يستطيع أن يتكلم مع الآخرين نداً إلى ند، والمسلم اليوم لا يتكلم ندا إلى ند بل يتكلم كإنسان منبوذ، لا يسمعه إلا من وهبهم الله عقولا كبيرة يستمعون إلى الفقراء، أما الآخرون فهم لا يستمعون للمسلم. ثم إن على هذا المسلم أن يستمر في تبليغ دعوة عطل تبليغها منذ سبعة قرون أو ثمانية قرون".[3]

الفرع الرابع : إعادة تفعيل دور الدين في الوسط الاجتماعي

يعتبر مالك أن العنصر الديني له دور رئيسي في التنظيم النفسي من حيث أنه يعمل في صورة مبادئ موجهة تنطبع في ذاتية الأنا فتصبح دوافع وقواعد للسلوك، فضلا عن أنه يغذي الجذور

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 34، 35.

[2] – فؤاد البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 72، 73.

[3] – مالك بن نبي، مجالس دمشق، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2006 م، ص69.

النفسية، ويتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون الأنا الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذا الأنا.[1]

كما ذهب ابن نبي إلى أن للدين دور رئيسي في بناء كيان الإنسان، يهيئه للاضطلاع بمهامه وأدواره في تشييد الحضارة، وأكد ذلك في قوله: "وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس، أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف (أنا) الفرد، ثم في توجيه هذه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه (الأنا) داخل المجتمع، تبعا للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ".[2]

فقوة هذا الدين والإيمان تعطي الإنسان قوة فوق قوته، وأحمالا فوق أحماله، فيتغلب على المصاعب ويتحول الإيمان إلى عاطفة قوية جارفة[3]، ويضيف مالك في الإطار: "وهنا ندرك سر القيمة التي خاص بها عالم الاجتماع محمد ﷺ الفضائل الخلقية باعتبارها قوة جوهرية في تكوين الحضارات. ولكن أوضاع القيم تنقلب في عصور الانحطاط لتبدو الأمور ذات خطر كبير. فالروح وحده هو الذي يتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فقد الروح سقطت الحضارة وانحطت لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يهوي بتأثير جاذبية الأرضية ".[4]

المطلب الثاني :عناصر الحضـــارة

يرى مالك بن نبي أن للحضارة ثلاثة عناصر رئيسية تتركب منها هي الإنسان والتراب والوقت، ولا يمكن التخلي عن أي عنصر من الثلاثة ليتم تشكّل البناء الحضاري. ولكن هذه المعادلة : "الإنسان + التراب+ الوقت = نتاج حضاري لا تعطي ثمارها إلاّ بمفاعل أو مركب يدمج هذه العناصر ويعطيها غاية، وهذا المفاعل هو الدين أو ما أسماه مالك الفكرة الدينية أو العنصر الأخلاقي، وسواء كان هذا الدين سماويا كالإسلام أو مبدأ يبلغ عند أصحابه من اتقاد العاطفة والالتفاف حول

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص 71، 72.

[2] – المصدر نفسه، ص 74.

[3] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 92، 93.

[4] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 30، 31.

مبلغ الدين، وقد يكون هذا المبدأ مشروعا يستحوذ على عقول أفراد ويؤلف بينهم، وحسب هذا التركيب فإن الصين أقلعت باتجاه حضارة، واليابان قبلها، والاتحاد السوفياتي سابقاً.[1]

وهنا أضرب مثالاً بدولتي تركيا وإيران حالياً في طور النهوض وتحقيق القفزة الحضارية، وذلك بناءً على توفر العناصر الثلاثة المذكورة آنفاً، و فكرة الدين كمبدأ، سيطر على العناصر، فإيران حماسها في نصرة المذهب الشيعي وعداؤها للسّنة دفع بها للبحث عن سبل تطوير مجالاتها الصناعية والعسكرية والاقتصادية والعلمية وغيرها، حتى أضحت ضمن المعسكر النووي الدولي. هو الحال أيضاً بالنسبة لتركيا التي تحولت بفعل تركيبة حكم تستند إلى الدين إلى قطب سياسي وصناعي وتجاري وسياحي عالمي، مع تسجيل استثناء لنهوض حضاري لكثير من الدول في راهننا، لم تعتمد على الدين والعنصر الأخلاقي في سبيل تحقيق الوثبة!.

والعكس تماماً نجده مع دول أخرى إسلامية وغير إسلامية لم تستطع التقدم ولو خطوة واحدة إلى الإمام في سبيل خروجها من غياهب التخلف والانحطاط، رغم توفرها على العناصر الثلاثة الأساسية: " الإنسان+ التراب+ الوقت" والدين، و يعود ذلك لغياب الإرادة والعمل. ونعطي لذلك مثالاً بدولة "السعودية" التي ظلت تجر أذيال التخلف بأسمى معانيه خلال العصر الحديث وإلى الآن رغم مكانة الإنسان في ذلك المجال الجغرافي وحضارته وقيمه ومبادئه.

الفرع الأول : الإنسان

يُعتبر عنصر الإنسان أهم العناصر الثلاثة المكونة للحضارة، فهو حسب مالك يؤثر في المجتمع بثلاثة روافد أساسية هي الفكر والعمل والمال، ويتكلل هذا التأثير بنجاح، بالتوجيه الملائم للطاقات في الثقافة، وبتوجيه للعمل، وتوجيه لرأس المال، والتوجيه هو قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف، بدونه تضيع الطاقات وتتميّع القوى، ولا تصل للمبتغى، حيث يقول مالك: "التوجيه– بصفة عامة– قوة في الأساس، وتوافق في السير ووحدة في الهدف فكم من طاقات وقوى لم

[1] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 61.

تستخدم، لأننا لا نعرف كيف نكتّلها. وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زحمتها قوى أخرى صادرة عن نفس المصدر، متجهة إلى نفس الهدف" .[1]

والتوجيه أيضاً كما يرى مالك هو تجنب للإسراف في الجهد والوقت: "هناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية، والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه. وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود وفي هذا تكمن أساسا فكرة توجيه الإنسان الذي تحركه دفعة دينية".[2]

الفرع الثاني: التراب

يرى مالك بن نبي أن التراب أحد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة، فإذا ما توفر المركب الديني لتركيب هذه العناصر فإن التراب في بلاد الإسلام يكون جذيرا ببحثه كعامل من عوامل تحقيق الحضارة[3]، يقول بن نبي: "فالتراب يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط. مجالاً مجهزاً مكيفاً تكييفاً فنياً يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعاً لظروف عملية الإنتاج".[4]

والمقصود بالتراب هنا ليس من الجوانب المتعلقة بخصائصه وطبيعته ومكوناته، بل بالنظر له من حيث القيمة الاجتماعية، وقيمته الاجتماعية مستمدة من قيمة مالكيه وأمته وحضارتها، يقول مالك: "فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط".[5]

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 77، 78.

[2] – المصدر نفسه، ص 78.

[3] – المصدر نفسه، ص 131.

[4] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص 32.

[5] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 131.

الفرع الثالث : الوقت

الوقت ذو قيمة عالية يؤدي إهماله لفشل واضح في المشاريع وعمليات البناء المختلفة، إذ يعتبره مالك بن نبي ثروة في مجال، وعدم في مجال آخر، فهو يمرق خلال الحياة ويصب في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال: "نحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الوقت، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى العدم لأننا لا ندرك معناه، و لا تجزئته الفنية. لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة، وثانية، ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقاً بالتاريخ مع أن فلكياً عربياً مسلماً هو أبو الحسن المراكشي[1] يعتبر أول من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا".[2]

وبتجديد فكرة الزمن حسب مالك: "يتحدد معنى التأثير والإنتاج وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا. هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط في تكوين المعاني والأشياء".[3]

المطلب الثالث : الدورة الحضارية

الحضارة كما يراها مالك بن نبي تبدأ قوية مندفعة عندما تسيطر الروح أو العاطفة الصادقة والشعور الجماعي القوي لتنفيذ فكرة، وهذه الروح تضبط الغرائز الدنيوية، ثم تبدأ مرحلة قطف ثمار هذه الحضارة من التمدن وازدهار العلوم والفنون، وفي هذه المرحلة تبدأ الغرائز في التفلّت شيئاً فشيئاً، ويسميها مرحلة العقل، لتصل الحضارة إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الانحطاط وتفكك العلاقات الاجتماعية، ويتحول العلم إلى علم انتفاعي يعيش أصحابه على حساب الجهل المنتشر، ويسميها

[1] – أبو الحسن المراكشي: هو عالم مسلم فلكي، من علماء المغرب، عاش في عصر دولة الموحدين في النصف الأول من القرن السابع الهجري، وتوفي سنة 660 هـ/1262م. وقد اشتهر المراكشي في الفلك، والرياضيات، والجغرافيا، وصناعة الساعات الشمسية. انظر: ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org . 2016/04/03م. على الساعة 21:18.

[2] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 139، 140.

[3] – المصدر نفسه، ص 140.

مرحلة الغريزة، ثم يدخل الإنسان بعدها مرحلة ما بعد الحضارة، وهي أسوأ من مرحلة ما قبل الحضارة لأن هذه الأخيرة يكون فيها الإنسان على الفطرة أو هو مهيأ لدخول حضارة.[1]

ولكن الوصول إلى المرحلة الأخيرة لا يعني أن مالكاً يجعلها دورة حتمية المآل إلى الزوال، فالحضارة ممكن أن تستأنف مرة ثانية، أو تستمر إذا استطاعت الفكرة الدينية –حسبه– أن تكون حاضرة وفاعلة في الأمة.[2]

وينظر مالك إلى ابن خلدون على أنه هو من اكتشف الدورة الحضارية حيث يقول: "أما ابن خلدون فقد تمكن من قبل اكتشاف منطق التاريخ في مجرى أحداثه، فكان بهذا المؤرخ الأول الذي قام بالبحث عن هذا المنطق إذا لم نقل أنه قام بصياغته فعلاً. فقد كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية لولا أن مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة، ونعني به الدولة وليس الحضارة نفسها."[3]

ويتّضح من خلال هذا أن الدورة الحضارية تمر بثلاث مراحل هي مرحلة الروح، ثم العقل، والغريزة في الأخير، وهي تمثل مرحلة التراجع إلى دائرة ما قبل الحضارة، أو العمل على التدارك بتفعيل عدة عوامل للعودة إلى المرحلة ما قبلها التي مثلت قوة الحضارة. وبناءا على ذلك لا تكون الدورة الحضارية حتمية العودة إلى مرحلة ما قبل وحتى بعد الحضارة، بل بإمكان أي مجتمع أن يتدارك نفسه للعودة من مرحلة الغريزة إلى مرحلة الروح، وهكذا تسير الدورة الحضارية لسنوات أو عقود أو قرون حسب قدرة المجتمع على تحقيق العوامل والمقومات المفضية لقبائه في دائرة الحضارة.

وقد رسم مالك منحى بيانياً أوضح فيه مسيرة الدورة الحضارية، مرتكز على نقطتين أسياستين هما الميلاد والأفول، حيث يقول: "فنحن نعلم مسبقاً أن حضارة معينة تقع بين حدين اثنين: الميلاد والأفول"[4]. والمنحنى يبدأ بالضرورة من النقطة الأولى في خطاً صاعدً، ليصل إلى النقطة الثانية في خط نازل، ويتوسط هذين الخطين طور انتقالي وسيط، هو الأوج، وهو طور انتشار الحضارة وتوسعها،

[1] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، مرجع سابق، ص 61.

[2] – المرجع نفسه، ص 61.

[3] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 62.

[4] – المصدر نفسه، ص 66.

وبين الطورين الأولين يوجد بالضرورة توازٍ معين يشير إلى تعاكس في الظاهرة. وطور الأفول النازل هو عكس طور النهضة الصاعدة وهكذا تكون الدورة الحضارية بين صعود ونزول.[1]

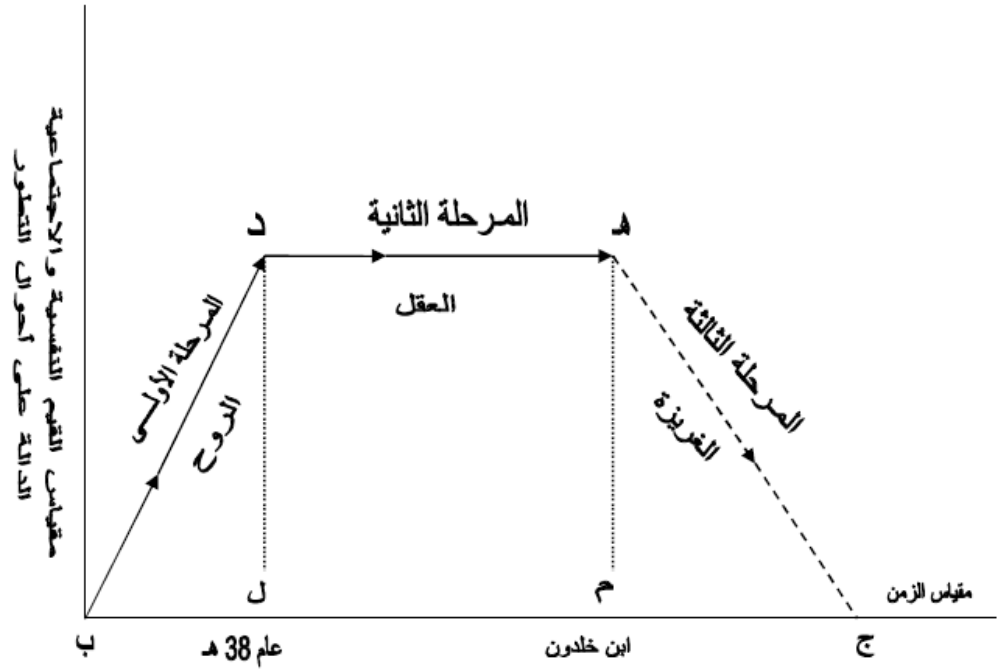

نتيجة:

من خلال معالجة مقومات النهضة عند مالك بن نبي والتطرق لعناصر الحضارة ألا وهي: الإنسان +تراب+ وقت = حضارة، مع دمج فكرة الدين للمركب. أرى أن فكرة الدين أو ما يسميه مالك العنصر الأخلاقي غير صالحة في كل الأحوال كما يذكر كشرط للبناء، وذلك بناءاً على النهوض الحضاري الذي حققته دول معاصرة صغيرة ليس لها النزعة الدينية أصلاً.

وهنا أستشهد بدولة سنغافورة في أقصى شرق آسيا، هاته الدولة التي تفصل الدين عن سياساتها الداخلية والخارجية، وهي حديثة النشأة وقليلة تعداد السكان ومشكلة من أعراق متعددة وأجناس

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص 66.

وأديان مختلفة، حيث استطاعت في ظرف وجيز جدا لا يتجاوز الأربعة عقود من تحقيق القفزة الحضارية الكبيرة، وتبوئها مراكز جد متقدمة في دول العالم من حيث الصناعة والتجارة والمال والأبحاث العلمية المختلفة، بل وتحقيق السيطرة الاقتصادية على دول شرق آسيا وكثير من دول العالم الأخرى. وهنا أطرح تساؤل أين دور الفكرة الدينية أو العنصر الأخلاقي من النهوض الحضاري المشهود في سنغافورة[1] ؟.

من خلال قراءاتي وتحليلي لمضمون هذا النموذج وعدد من الشواهد الحضارية في عصرنا استنتجت من –وجهة نظري– أن الفكرة الدينية أو العنصر الأخلاقي غير مؤهلين ليكونا شرطين رئيسيين لأي عملية بناء، وأقترح تعديلاً لمضمون الفكرة بزيادة عنصري العمل والإرادة أو القرار السياسي مكانهما. لتكون الصيغة المقترحة: إنسان + تراب + وقت = حضارة، مع دعم المركب بعنصري العمل والإدارة.

الإنسان + تراب + وقت

الإنطلاق للبناء ⟵ نتاج حضاري

عمل + إرادة

ويكون العمل والإرادة أو القرار السياسي الجاد في عملية البناء ركيزة أساسية مرافقة للعناصر الثلاثة الأولى المتوفرة، حيث ومن خلال استقرائي لأوضاع بعض الدول في العالم، وجدت أن دولاً كثيرة تتوفر على كل عناصر الحضارة ومقوماتها بما فيها الفكرة الدينية والعنصر الأخلاقي، لكن لا نجد أثراً لأي إقلاع حضاري بل بالعكس انحدار، والسبب المباشر هو انعدام الإرادة لذلك، أو القرار السياسي المهيكل للعملية البنائية والمرافق لها. والعكس نرى دولاً لم تعطي أهمية أصلاً للفكرة الدينية

[1] – سنغافورة: هي جمهورية تقع على جزيرة في جنوب شرقي آسيا، عند الطرف الجنوبي من شبه جزيرة ملايو، ويفصلها عن ماليزيا مضيق جوهور، وعن جزر رياو الاندونيسية مضيق سنغافورة. وتعتبر سنغافورة رابع أهم مركز مالي في العالم، ومدينة عالمية تلعب دورا مهما في الاقتصاد العالمي. كما يعد مرفأها خامس مرفأ في العالم من ناحية النشاط الاقتصادي والتجاري. كما تعتبر بلدًا متعدد الديانات بسبب الخليط العرقي المتواجد فيها، وتقر الدولة في سنغافورة بحرية الاعتقاد وفصل الدين عن الدولة كلياً. انظر : وكيبيديا https://ar.wikipedia.org. 2016/05/08م. على الساعة 22:38.

والخلقية، وأعارت العمل أهمية قصوى بناءاً على قرارات سياسية رسمية عليا راشدة، تحقق لها كل معالم النهوض الحضاري، والوثبة الحضارية.

المبحث الثاني: مقومات النهضة عند فتح الله كولن

تمهيد

يعرّف الأستاذ فتح الله كولن الحضارة من منظور انثربولوجي[1] بأنها مجموع النشاطات المتعلقة بتنظيم الحياة الإنسانية، أو التصورات الفكرية والإعتقادية والفنية لأي أمة، أو كل الأوصاف الخاصة بوجودها المادي والمعنوي، وذلك حسب الرؤى والفهوم والفلسفات والقدرة على التلقي . ومهما كثر التنوع في التفسير.[2]

ويشترط كولن لإعادة البناء الحضاري للأمة من جديد، التخلص من المفاهيم الغربية المبرمجة في المجتمعات الإسلامية التي جاءت نتاج حقب استعمارية، والعمل على صياغة معادلة نهوض جديدة وفق النسيج الحضاري الذاتي للأمة، يقول: "فإن كنا الآن نفكر في إعادة بناء الذات من جديد، ونبحث عن أسلوبنا الذاتي الحضاري، فينبغي أن نتخلص من احتلال المفاهيم والأفكار الغريبة في داخلنا، والمبرمجة على تخريب جذور الروح والمعنى فينا، وأن نتَّبع- بالضرورة -سبيلا يُمكننا من العمل على طبع فكرنا الذاتي ونظامنا الاعتقادي الذاتي وفلسفتنا الذاتية في الحياة، وفق نسيجنا الحضاري الخاص".[3]

كما يرى كولن أن الوصول للهدف المنشود والبناء الحضاري أو تشييد الحضارة من جديد في ظل ترهّل وانحطاط كبير للأمة، ينبغي له استخدام كل الوسائل المشروعة: "وبغض النظر عن التحليلات الأنثروبولوجية الحديثة لابد لنا – وبقدر المستطاع - أن نستخدم جميع الوسائل المشروعة للوصول إلى الهدف

[1] – الانثروبولوجيا: هو مصطلح قديم متضمن لتاريخ المعرفة الإنسانية والبشرية، بدأ استعماله فعلياً مع بداية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث ازداد الاهتمام بها خصوصاً في الأوساط الثقافية الانكلوساكسونية –بريطانيا وأمريكا-، وأصبح الاهتمام بها في المرحلة الحالية منصباً على الانثروبولوجيا البيولوجية أو الفيزيائية، بعد أن كانت قديماً تبحث في أحوال الإنسان والبشرية، أنظر: مصطفى تيلوين، مدخل عام في الانثروبولوجيا، الطبعة الأولى، دار الفرابي، لبنان، 2011م، ص 17.

[2] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، الطبعة الثانية، دار النيل، مصر، 2011، ص 14.

[3] – المصدر نفسه، ص 15.

الجليل الذي يُمليه علينا فكرنا الذاتي، ونجد حلولا بديلة للتخلص من الفوضى التي نعيشها . وعلينا- ونحن نبحث عن الحلول البديلة -أن نأخذ بنظر الاعتبار كل الحيثيات التي تتعلق بموقعنا الجغرافي والاجتماعي".[1]

و ينبغي اليوم حسبه أن نحدد إطار الفهم لتلك الحضارة، ونعيد النظر في كنهها بتعريف جامع ومانع، ونقف على معنى أمسنا ومحتواه، وفوضوية يومنا وغموضه، والمعالجات المتصوَّرة لغدنا، ثم نتعرف على صوت هذا العصر مع الحفاظ على الأصل والذات من جهة، وأخذ معالجات الزمان الحاضر وتفسيراته بنظر الاعتبار من جهة أخرى.[2]

فكولن يعتبر أن المجتمعات المتطورة والمتقدمة اليوم كانت من قبل تعاني هي الأخرى من مثل ما تعاني الأمة الإسلامية منه آنياً، وكانت تقوم وتقعد في تخبط كتخبطنا وتكتوي بنار عذاب كعذابنا. ثم جاءتها أيام فتحت فيها أبواب التجديد على مصراعيها بفضل ما كانوا يتمتعون به من شوق البحث وعشق العلم وحثيث العمل ومكافأة من وفقوا، بأجزل المكافآت . فتحقق النجاح إثر النجاح مما أدى إلى فوران العزم وشحذ التوق. وصارت البيئة عندهم مشاتل تحتضن فسائل العبقرية، فتتابع الاختراع، من مكائن البخار إلى مصانع النسيج، ومن مختبرات الأبحاث إلى المطابع. وبلغوا بعد مدة عصر العلم والعقول الإلكترونية.[3]

يستند كولن في هذا الطرح إلى أن القرآن الكريم هو الذي يحثنا على تجددنا من خلال الاستصحاب الدائم لهذا السؤال المصيري : نكون أو لا نكون؟، من خلال الآيات الكريمة: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إبراهيم: 19 . ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ○وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ فاطر: 17 - 16. ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد : 38 .[4]

ويذهب فتح الله إلى أن المعنيين بالإذهاب والإستبدال في الآيات الكريمة المذكورة اليوم هم أصحاب النفوس الميتة وسكان العالم الثالث، الذين لم يجددوا أنفسهم وفشلوا في الحفاظ على حيويتهم وفرطوا في حق إيمانهم وتفحمت عوالمهم الداخلية، مع تقدير جوهر الإيمان الذي يحملونه. أما الآتون بدلا عنهم،

[1] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 15.

[2] – المصدر نفسه، ص 14.

[3] – المصدر نفسه، ص 16.

[4] – المصدر نفسه، ص 08.

فإنهم الجيل الجديد، الذين استكملوا التحفز المعنوي بطول الشحذ والتعبئة منذ قرون في دنيا المحزونين والمغمومين هذه، والمرشحون للارتقاء بإنساننا المستصغر والمستهان به إلى ذرى القيم السامقة.[1]

يصوغ الأستاذ كولن رؤيته للانبعاث الحضاري وفق مستجدات العصر المعاصر وما ينبني عليه من تغيرات جوهرية على مستوى بنيات المجتمعات في البلدان الغربية والعربية، بين مجتمعات في قمة الهرم الحضاري و أخرى تجد نفسها في قاعه لأسباب استقرأها من رحم ذلك الواقع المعاش بين الطرفين – أي المجتمعين–. وهذا بمنطلق مقومات أساسية هي: التجدّد بالإيمان والكينونة الذاتية والمعقولية والفاعلية والنزعة العملية، إنسان الفكر والحركية، والموازنة بين الشريعتين. وهاته العناصر هي مجموعة أسس ومرتكزات متكاملة فيما بينها كفيلة بإنعاش مجالات البناء والنهوض الحضاريين.

المطلب الأول: التجدّد بالإيمان

يرى كولن أن الإيمان هو المقوم الأول الذي يمكن به تحقيق بناء حضاري، والأنبياء والمصلحين هم الذين يغرسونه في كل مرحلة انحطاط عرفها التاريخ الإنساني من أجل إعادة البناء الحضاري، مع تفعيل ملكات التفكير والتمحيص والتعلم. فبعث الإيمان الصحيح في الأرواح والأنفس من شأنه تحقيق التجديد، يقول: "الأرواح التي لم تكتسب خفة بالتصفية بالإيمان والمعرفة والمحبة لن تَقْدر أبدا على التحليق في سماوات ما بعد الأفق . بل دع التحليق في سماوات ما بعد الأفق، فتلك الأرواح الجائعة لا تنفك عن التلوث بالرغبات الدنيوية، فتمتلئ قلوبهم بالأحقاد وتطفح بالكراهية، وتوقع نظام الروح أسيرا في قبضة جهاز النفس، ولا يزيدون على الأكل والشرب والنوم والجلوس والقيام، فيغدون عبيدا للبدن يأبون الانعتاق".[2]

ويقول أيضاً: "إن من أجدى الأمور في بناء الجيل الحاضر هو تيسير تنقلهم بين عوالمهم الداخلية وبين حقائق الوجود بتحفيز عزم التفكر المنظم لديهم، وتحبيب الإيمان والتعلم والتمحيص والتفكير إليهم بتدريبهم على مطالعة الآفاق والأنفس ككتاب مفتوح. فعلينا أن نقدّم إلى آفاق مداركهم وعقولهم تلك التصورات المذكورة بالوسائل المرئية والمسموعة، وأن ننقلهم إلى عوالم أرحب عن طريق

[1] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 08.

[2] – المصدر نفسه، ص 10.

إنقاذ أرواحهم من السجن البدني الضيق. ثم إزالة الكدر والقسوة من أرواحهم، وإيقاظ قلوبهم المتأججة شوقا إلى الآفاق الماورائية على أجمل التطلعات الإنسانية وأرقها وأخفاها وأكثرها سحرا ودلالا. وإذا نجحنا في ذلك فسنكون قد بشرناهم بالانبعاث من جديد".[1]

ولهذا يؤمن كولن بضرورة توجيه كل العالم الإسلامي إلى التجدد بكل أجزائه في فهم الإيمان، وتلقيات الإسلام، وشعور الإحسان، والعشق والشوق، والمنطق، وطريقة التفكير، وأسلوب الإفادة، يقول: "إن أساس حياتنا المعنوية قائم على الفكر الديني والتصورات الدينية. ولقد حافظنا على وجودنا حتى اليوم بهذا الأساس، وكانت وثباتنا أيضًا منطلقة منه. فإن جردنا أنفسنا منه، فسوف نجد أنفسنا متخلفين ألف سنة إلى الوراء. إن الدين الذي يهدف إلى غايات مثل إضفاء المعنى على الإنسان والكائنات، والانفتاح على الروح الإنسانية والذات، وتحقيق الرغبات الممتدة إلى ما وراء الدنيا، وإشباع حس الأبد في الوجدان، ليس منحصرًا على العبادات. إنه يحتضن الحياة الفردية والاجتماعية جميعا، ويتدخل في كل شيء لنا، عقلي وروحي وقلبي ويصبغ بصبغته كل تصرف لنا حسب نيتنا، ويسربل بلونه كل شيء".[2]

المطلب الثاني: الكينونة الذاتية

يعتبر كولن أن القيام بإحياء المكنونات الثقافية والاجتماعية المتراكمة والموروثة عبر الزمن الذي تكتسبه أي أمة، أساسا من أسس الإقلاع الحضاري، وان كان تحقيق ذلك على المستوى البعيد، مع الأخذ بعين الاعتبار مسائل الزمان المستجدة.

ويؤكد في هذه الزاوية أنه ينبغي على الأمة أن تواصل السير في إطار الذات والدين والتراث والأعراف والعادات والتقاليد حتى تعود من جديد للنهضة، يقول: "علينا في هذا السياق أن نواصل السير في إطار ديننا وتراثنا وأعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا، مع أخذ ما يستجد من تفسيرات الزمان بعين الاعتبار. وبمرور الزمان ستكون قيمنا الذاتية جزءاً لا يتجزأ من طباعنا. وما نقتبسه من الخارج

[1] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 10.

[2] – محمد فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، الطبعة السادسة، دار النيل، مصر، 2010م، ص 24، 25.

سيصطبغ بصبغتنا وسنتبناه، فيكون لونا مهما من ألوان الخطوط في نسيج أطلسنا الذاتي، الفكري والثقافي".[1]

ويقول أيضا مبررا رأيه في أهمية تفعيل الذات وإرثنا الحضاري: "لا شك أن المعنى الذي نقصده من الكينونة الذاتية هو إبراز هويتنا الداخلية المنسوجة من ميراث حضارتنا الذاتية وثقافتنا الذاتية، وجعلها المحور الذي ندور حوله. فلربما تفهم بعض الأوساط في أيامنا هذه كلمة الذاتية على أنها العروض الفلكلورية التي لا علاقة لها بالجذور المعنوية لأمتنا، والغرائز التي تطفح حينما تحس الكتل البشرية بالحاجة إلى إشباع نزواتها الجسمانية، والمراسيمُ التي تقام في مناسبات الأكل والشرب والأعياد والأعراس. لكننا نحن نفهم من تعبير الذات معنى أوسع وأشمل وأعمق، فهي ظاهرة أجرت فاعليتها في كل شرائح المجتمع، وتغذت من ذاكرة الأمة وشعورها ووجدانها على مر الزمان إلى أن وصلت إلى عصرنا هذا، وانعكست على مشاعر الأمة وأفكارها ولسانها وتصوراتها الفنية وتمثلت فيها، وعشناها في أعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا باعتبارها أهم عمق من أعماق الحياة في كل أوان. فنحن نحس ونشعر بها في كل وحدة من وحدات الحياة، وفي كل صفحة من صفحاتها وكل مرحلة من مراحلها، وفي كل محطة من محطاتها، من الرعاية التي نلقاها في أحضان أمهاتنا، إلى سلوكيات أجدادنا المشبعة بروح الأبوة الحانية التي تعكس طبيعتنا الذاتية".[2]

وهنا يشير كولن إلى أهمية بعث التراث الداخلي بمختلف مناحيه في كيان الأمة، وتحيينه باستمرار حتى تبقى متماسكة مندفعة إلى الأمام نحو واقع أفضل مما هو الحال عليه في آننا.

المطلب الثالث : المعقولية "العقل والقلب"

العقل جوهر مجرد من المادة وأهم جوانب الروح عند كولن، وامتداد نوراني للغيب في عالم الشهادة، وهو مركز حراسة للروح باعتباره موجها للإنسان إلى التفكر والإدراك والفهم، ومانعًا له عن القبائح وحاثاً له على المحاسن.[3]

[1] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 24.

[2] – المصدر نفسه، ص 23.

[3] – المصدر نفسه، ص 63.

وقد دعا كولن إلى تفعيل دور العقل في حياة المسلمين، تماشيا ودعوة الله في القرآن الكريم، إلى ذلك في عديد المواضع كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج: 46.

كما يرشد القرآن الكريم في كثير من آياته إلى المعقول الذي يربط الخلق بخالقه، ما عدا أوامره التعبدية المتعالية، ويدعو إلى التعقل والتفكر والمحاكمة، بل يعبر القرآن عن الفكر السليم والمحاكمة العقلية المنجهية والمنطق المنضبط ضد الأحكام والمزاعم المختلفة التي يبنيها المخالفون لهذا الرأي القائلون بما يسميه كولن اللامعقول وهو إبطال دور العقل.[1]

من زاوية أخرى، يقول كولن: "فإن العقل يعني الفهم والإدراك واستجماع الفكر. وهو بهذا المعنى وسيلة مهمة لتفهُّم الأمور الداخلة ضمن تعريفه، ومن المقومات الحيوية للروح، فبالعقل نفهم ما نفهم، وبه نعلم ما نعلم، ونقوم ونستنبط الحاصل والناتج . وضده الحمق والغباء وعدم الإدراك. والحمقى والأغبياء ومعدومو الإدراك، لاهثون في طريق اللامعقول بلا هدف ولا مقصود. فلا يفهمون كتاب الكائنات ولا يتآلفون مع الأشياء ولا يستمعون إلى القرآن ولا يدركون أسرار التكليف. ومحال على هؤلاء أن يفهموا الدين وروحه وغاية الوجود ومقصوده".[2]

والعالم الإسلامي حسب الاستقراءات في ظل الوضع الراهن الموسوم بالجمود العقلي والفكري لن يستطيع تحقيق غايته في البلاغ والنهوض بالأمة والبناء المنشود في ظل طغيان اللامعقول، وتعطليه لملكة العقل و التفكير والاستنباط.

حيث دعا كولن إلى إبراز دور العقل في تحقيق النهضة وتغيير الأوضاع إلى ما هو أفضل مما كائن، وإلا فالنفس ستلهيه عن ذلك، يقول: "فالعقل في هذا المعنى حصن مكين لحفظ القيم الإنسانية، ومفتاح كريم للسعادة البشرية. العقل لجام الرغبات النفسية وقفل يكبح جماحها، وهو أيضاً جناح ملائكي تحلق به الروح إلى عالم الخلود . النفس تجرف الإنسان إلى معضلات ومشكلات مختلفة كل ساعة بأباطيلها وترهاتها وضدها العقل، إذ هو قوة سماوية تبدد لعبة النفس. فإذا ارتبط بالقلب وتزود

[1] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 67.

[2] – المصدر نفسه، ص 74.

وتغذى من وارداته، وأدام التزود منه، فإنه لا يترك عدواً إلا صرعه ودحره، أما إذا انقطعت وشيجته عن القلب وانقلب من السماوية إلى الترابية، فإنه يصير خائناً يرشد الأعداء ويقيم في جيرة الشهوات، ويدافع عن الحقد والبغض وينضم إلى القوة العمياء فيقاوم السماوية ويخوض في الجدلية، فيكدُّ في إلباس الباطل لباس الحق ويحسب المغالطة براعة، فيجادل مخلفا وراءه الاختلاف والتفرق، ويحسب فضح الآخرين وتراجعهم غلبة وظفرا. فيتمادى في قتل القلب كل ساعة، ويقيم على أنقاضه سرادق النفس، ويتلطخ كل يوم مرات عديدة بتلوثات تسر الشيطان وتفجر الروح ببارود العصيان".[1]

المطلب الرابع : الفاعلية والنزعة العملية

في طريقه لإحياء الصحابة، و إيجاد صفة ورثة الأرض في أتباعه، فإن فتح الله كولن لم يقف عند الوعظ والكتابة والتنظير فقط، ولا عند إقامة الشعائر التعبدية، بل انطلق مع أصحابه لعمارة الحياة وفق منهج الله تعالى، وما وفره العصر و التقدم العلمي من وسائل و أساليب وخبرات وفق حاجات المجتمعات التي يعيشون بينها، وهم بذلك يدركون تماماً سر ربط القرآن بالعشرات من آياته بين الإيمان وعمل الصالحات.[2]

ويبدأ طريق العمل الطويل ببناء الذات وتحريرها من اللذات وانطلاقها لتطبيق كل ما تقوله وتدعو إليه. وفي سياق تعليقه على قوله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبرِّ وتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ البقرة: 44، أكد فتح الله على وجوب تطبيق الإنسان أولاً ما يدعو الآخرين إليه، وألا يكون هناك تناقض بين القول والقائل، إذ أن العيش بالإسلام عبادة وتبليغه عبادة أخرى، فمن لم يطبق كليهما حمل ذنبين وابتعد عن خطوة التأثير بخطوتين، ومن لم يطبق أحدهما حمل ذنباً واحداً وابتعد عن التأثير بخطوة واحدة.[3]

والإسلام كما ينظر كولن نظام إلهيّ يربط العلم بالعمل ربطًا محكماً. ففي إحدى جانبيه الإيمان، والجانب الآخر تحويل هذا الإيمان إلى عمل وفعالية، يقول: " نعم، إن ذكر أعمال وعبادات الآخرين

[1] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 75.
[2] – فؤاد البنا، عبقرية فتح الله كولن، مرجع سابق، ص 62، 63.
[3] – المرجع نفسه، ص 63.

ورواية حكايات عنهم جميل من جهة لما فيها من عبر وعظات. و لكن الاكتفاء بهذا القدر فقط من دون القيام بتطبيق تلك الأعمال في الواقع يؤثر تأثيرا سلبيا في المقابل. فالإسلام ليس ذكر مناقب الأولياء أو الاستماع إليها فحسب، بل هو تحويل ما يُذكر عنهم إلى حياة معيشة. نعم، الإسلام إيمان وعمل. فالذين يتكلمون عن العمل الإسلامي من دون أن يدركوا أن الإسلام إيمان وعمل كلامهم هذر ليس إلاّ".[1]

ويضيف فتح الله في هذا السياق عن فكره وتطبيقه في الميدان: "إن ما نقدِّمه من أصول وقواعد قد اتخذ فيه جانب التطبيق العملي أساسا، وأعدَّ في ضوء الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، ممن خبرها في الواقع، فجالس رجالات الإرشاد والتبليغ منذ عهد الصبا، حتى تقلَّد وظيفة الدعوة والتبليغ رسميا".[2]

فكولن لم يبق بناءا على تنظيره الفكري هذا، مفكراً فردياً كحال أكثر المفكرين، ولم يكتفي بأن يكون داعية محاطاً بعدد من المعجبين والمنفعلين فقط، بل صار بعبقريته تياراً عظيما داخل تركيا وخارجها بتأسيسه لتيار "الخدمة" المجسد لفكره الانبعاثي، وأصبح يملك مئات المدارس وعشرات الجامعات ومئات المدن الجامعية في تركيا، بالإضافة لعشرات المستوصفات والمستشفيات الطبية، وعشرات الجمعيات والمنتديات المحلية والدولية المتنوعة الأغراض.[3]

وفي مجال الثقافة والإعلام يمتلك تيار الخدمة عشرات المؤسسات، منها ثلاثون دار نشر، وخمسة عشر مجلة ثقافية، وتسع قنوات تلفزيونية، مع وجود أقسام للترجمة في دور النشر، أنجزت مئات الكتب المترجمة إلى عشرات اللغات في العالم، إضافة إلى عشرات المواقع الالكترونية بعدد من اللغات.[4]

من خلال هذا التيار العالمي الذي أسسه كولن، كترجمة حقيقية لفكره ومشروعه النهضوي، تتضح عمليّة وتطبيقية منهاجه في الميدان، وعدم اقتصاره على طرح الأفكار والمثاليات والرؤى الافتراضية،

[1] – محمد فتح الله كولن، طرق الإرشاد في الفكر و الحياة، الطبعة الخامسة، دار النيل، مصر، 2010م، ص 94.

[2] – المصدر نفسه، ص 87.

[3] – فؤاد البنا، عبقرية فتح الله كولن، مرجع سابق، ص 89.

[4] – المرجع نفسه، ص 89.

والإجابة عن أسئلة معضلات الراهن نظرياً فقط. وعليه يكون كولن متميزاً عن غيره من مفكري الإسلام في العصر الحديث بهذه المنهجية العملية التطبيقية لفكره.

المطلب الخامس : إنسان الفكر والحركية

للانبعاث الحضاري لابد من ظهور إنسان مفكر وحركي مجدّد لأوضاع زمانه، وقد يكون هذا الإنسان عالما أو رجل سياسة ودولة أو غير ذلك يقول كولن: "وقد تجد إنسان الفكر والحركية ابنا بارا للوطن، أو إنسانا حركيا ذا بعد فكري، أو رجلا متفانيا في العلم، أو فنانًا مبدعا داهية، أو رجل دولة، أو رجلا يجمع كل هؤلاء فيه. وفي العصر الأخير ظهر كثير من رجال الفكر والحركية يمثلون قسمًا من هذه الصفات. فمنهم من سبق فكره عمله الحركي، ومنهم من تبارى فكره مع عمله الحركي، ومنهم رجال حركة فكرهم مكنون ومخزون".[1]

كما يرى كولن: "أن إنسان الفكر والحركية هو رجل الانطلاقة والحركي المخطط الذي يقوم ويقعد على خفقان شد العالم بالنظام مجدداً، ويمثل حركة إقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل إلى السقوط ومنذ عصور، ويفسر قيمنا التاريخية مرة أخرى، ويستخدم بمهارة مكوك الإرادة والمنطق في الفكر والحركة، وينقش على قماش روحنا ومعانا زخارف مستظرفة وجديرة تناسبنا. فهو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس إلى الفكر، ثم إلى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، وينشغل بحس البناء والإنشاء أبدا".[2]

المطلب السادس : الموازنة بين الشريعتين القرآنية والفطرية

يعتبر كولن القرآن الكريم صالح لتطبيق منهاجه في الحياة العامة وفي جميع مجالاتها الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والسياسية والمعاملاتية وغيرها، كونه مصدر ربّاني معصوم من الخطأ وليس بشرياً، مع تحقيق التوازن في هذا التطبيق مع الفطرة الإنسانية، لتتكون لدى المسلم رؤية متكاملة حول طرق التعامل مع مستجدات الحياة والكونيات وفق تفاعلات ناضجة يكون أساسها الإنسان الذي يضطلع بمهمة البناء والنهوض الحضاري.

[1] – فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، مصدر سابق، ص 63، 64.

[2] – المصدر نفسه، ص 63.

ويعرف كولن الشريعة بأنها: "مجموعة القوانين الإلهية النازلة من لدن الخبير المتعال والمشرقة على عالم بني الإنسان، والتي تتناول الإنسان مع جميع جوانبه، من قلبه وروحه وعقله وجسمه، وهي منبع نور لأكثر الجماعات نورانية والتي سيطرت على مصير العالم وعاش فيها مئات الآلاف من العلماء والفلاسفة والمفكرين. لذا فلا يوجد لسلطانه شبيه ولا مثيل. والقرآن نور متبلور في القلوب ومنبع نور للقلوب ومعرض حقائق. ولكن لا يعرفه على حقيقته سوى القلوب التي تستطيع حدس كل جمال الكون عند رؤيتها لزهرة واحدة ومشاهدة طوفان من رؤية قطرة واحدة، وهو الكتاب الوحيد الذي يعلّم الإنسان معنى الإنسان وماهيته والحق والحكمة وذات الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى، وذلك بأدق ميزان. وليس هناك كتاب آخر يماثله في هذا الميدان أبدا. والقرآن هو الكتاب الوحيد الذي أمر بالعدالة الحقيقية وبالحرية الحقيقية وبالمساواة المتوازنة وبالخير والشرف والفضيلة والشفقة حتى على الحيوان. وحرم الظلم والشرك والجهل والرشوة والربا والكذب وشهادة الزور تحريما واضحا. وهو الكتاب الوحيد الذي صان اليتيم والفقير والمظلوم، وأجلس السلطان والعبد، والقائد والجندي، والمدعي والمدعى عليه على طاولة واحدة أمام المحكمة".[1]

وذهب كولن إلى أن الإنسان استطاع بفضل القرآن أن يصل إلى مرتبة سامية وهي مرتبة مخاطبة الله تعالى. وإلى أن المستقبل القريب ستشاهد الإنسانية هذا القرآن بنظرات ملؤها الإعجاب والتقدير خاصة أن شلالات مختلف العلوم والفنون تتجه نحوه وتصب فيه، عند ذلك سيجد العلماء والباحثون والفنانون أنفسهم في البحر نفسه.[2]

[1] – محمد فتح الله كولن، الموازين، الطبعة الخامسة، دار النيل، مصر، 2010م، ص 141، 142، 143.

[2] – المصدر نفسه، ص، 144.

الفصل الخامس

المقارنة بين مشروعي النهضة عند مالك بن نبي وفتح الله كولن

المبحث الأول: نقاط التشابه

المطلب الأول: محورية الإنسان في البناء الحضاري

المطلب الثاني: التوازن بين عالمي الغيب والشهادة ومرجعية القرآن

المطلب الثالث: ذاتية النهوض الحضاري

المطلب الرابع: إبراز الفاعلية والحركية

المطلب الخامس: الانطلاق من المحلية إلى العالمية

المطلب السادس: الاستفادة من العلوم النافعة والتجارب الناجحة

المطلب السابع: العمل للدّارين "عمارة الدنيا والإعداد للآخرة"

المطلب الثامن : ترقية الحس الجمعي

المبحث الثاني: نقاط الاختلاف

المطلب الأول: توجيه مشروع الإصلاح

المطلب الثاني: رابطة الفكر بالتطبيق

المطلب الثالث: اختلاف الحكم على التصوف

المطلب الرابع: التمايز في الاهتمام بمشكلة المرأة

المطلب الخامس: اختلاف استدعاء النماذج

المبحث السادس: اتجاهان علمي وأدبي في الكتابة

المطلب السابع: الموقف من الاشتراكية

المبحث الأول: نقاط التشابه

تمهيد

يتقارب كثيراً المفكران مالك وفتح الله في صياغة المقومات الأساسية للنهضة، والمتعلقة أساساً بالإنسان و الدين و التراث، حيث صاغا كل منهما مشروعه النهضوي بناءا على منتجات حضارية سابقة، نابعة من التاريخ البشري بصفة عامة بعيدا عن الحيز الديني والقوقعة المذهبية.

المطلب الأول: محورية الإنسان في البناء الحضاري

الإنسان هو منطلق لأي عملية بناء جديدة ونهوض حضاري وتحول من مرحلة الانحطاط والضعف والهزيمة إلى مرحلة الغلبة والقوة وتشييد الحضارة بكل مصوغاتها، فبدون بناء الإنسان وتقويمه وتوجيهه لا يمكن تحقيق أي تحوّل في هذا المسار حسب رأي المفكريْن مالك وكولن، اللّذين جعلا من الإنسان مركز النهوض الحضاري.

ويعتبر المفكران أن الإنسان يحتل الأساس والمركزية في عملية النهوض الحضاري، فهو هدف هذا النهوض ووسيلته، ولذلك فهما لا يقيسان حضارة أي مجتمع بما يمتلك من أعراض الحياة وثرواتها وطاقتها، ولكن بمستوى الإنسان فكراً وروحاً ومبادئاً، و أخلاقاً، وعملاً، وعطاءاً.

ويسمي مالك بن نبي إنسان الحضارة الصاعدة بإنسان الواجب، أما فتح الله كولن فيطلق عليه أسماء كثيرة أهمها إنسان التضحية، بطل الخدمة، فدائي المحبة، الجيل المثالي، وارثي الأرض.[1]

وكان الإنسان أيضاً حسب نظرية بن نبي، في فكره وسلوكه وثقافته هو البؤرة التي تتركز فيها متطلبات الحضارة، حيث توصل إلى أن الإنسان هو مكمن الداء ومصدر الشفاء في الوقت نفسه، ولذلك بحث في أوضاعه الاجتماعية والنفسية والثقافية، آخذاً في عين الاعتبار ظروفه التاريخية والسياسية والاقتصادية، وخلص إلى أن الثقافة هي العامل المتحكم والوسيلة التي يتم عن طريقها تغيير الإنسان العنصر الأول في نظريته لبناء الحضارة.[2]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 199.

[2] – فوزية بريون، مالك بن نبي "عصره وحياته ونظريته في الحضارة"، الطبعة الأولى، دار الفكر. دمشق، 2010م، ص 230.

أما كولن فيرى الإنسان هو المحور الدائم في عملية البناء: "هو في خط الحياة الممتد على مدى فصولها من الحس إلى الفكر، ثم إلى الحياة العملية، يتنفس النظام دومًا، وينشغل بحس البناء والإنشاء أبدًا".[1]

المطلب الثاني: التوازن بين عالمي الغيب والشهادة ومرجعية القرآن

أعطى المفكران مالك وكولن للتوازن بين عالمي الغيب والشهادة اهتماماً بالغاً في مشروعهما النهضوي، وأسندا كل بناء حضاري للأمة من منطلق هاذيْن العاملين إضافة لمرجعية القرآن، وهو ما يبيّن قناعة المفكرين بأن القرآن صالح في كل زمان ومكان للتطبيق والترشيد والبناء والتقويم، والتحول نحو التطور والازدهار و تشييد الحضارة.

كما يرى كل من مالك بن نبي وفتح الله كولن أن الحضارة الكاملة تقوم على أساس التزاوج المتوازن بين العوامل المادية والعوامل الغيبية، بين هداية السماء وطاقة الأرض، والوحي الرباني والفكر البشري، بين الإيمان والعمل، بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب والسنن. فهذه الرؤية هي قاسم مشترك بين المفكريْن، حيث اتفقا على أهمية الإيمان والعمل في الإقلاع الحضاري، حيث يطلق مالك على الإيمان بالتوتر الداخلي، بينما يطلق عليه كولن الإيمان والطاقة الروحية.[2]

وأكبر مسوغ لهذا الإيمان عند المفكريْن هو القرآن الكريم، وقد استثمره الرسول ﷺ أفضل استثمار، حيث يؤكد كولن أن القرآن كان بالنسبة للرسول ﷺ كل شيء، كالهواء و الماء، سلاحاً و درعاً، حصناً وقلعة، وراية ترفرف فوق هذه القلعة.[3]

يقول كولن موضحاً لموقفه تجاه جدارة وأحقية القرآن ومحكوميته في الأرض: "نعم، إن العصور الآتية هي عصور القرآن، والسلطنة القابلة هي سلطنة "مفخرة الإنسانية" ويقصد بها الرسول الكريم ﷺ . الآذانُ تستمع إلى رسالته، والمشاعل التي تبث النور في الدرب هي مشاعله . نعم، الأمر الفيصل الآن، هو لهذا الموحد الأكبر الذي يُرجع كل شيء إلى التوحيد الخالص".[4]

---

[1] – فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، مصدر سابق، ص 63.

[2] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 200.

[3] – المرجع نفسه، ص 201

[4] – محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، مصدر سابق، ص 143.

ولهذا اهتم كل من مالك وكولن بتدبر القرآن، كونه الصلة الوثيقة الرابطة بين السماء والأرض والجسر الرابط بين النقل الرباني والعقل الإنساني، بين كمال الوحي المطلق وعجز الفكر البشري النسبي.[1]

المطلب الثالث : ذاتية النهوض الحضاري

لا يكون الإقلاع الحضاري حسب اتفاق المفكريْن من خارج أسوار الأمة، بل من كيانها الذاتي وداخلها بناءا على ما تحتويه من تراكمات للتراث. فاستيراد الحضارة من الخارج بكل مصوغاتها وأفكارها لا يمكن أن يصلح البتة مع أنماط عيشنا وفكرنا وأسلوب حياتنا، بل قد تنعكس سلباً على الأمة. وعملية البناء حسب مالك وكولن يجب أن تنطلق من داخل الأمة وذاتها.

والنهوض الحضاري المنشود في هذا العصر كما يؤكد المفكران ويتفقان عليه في منهجهما لا يمكن إلا أن يكون ذاتياً، بمعنى أنه لا يمكن أن يخرج من مشكاة التراث المحلي، ولا يمكن أن يصطنع من منظومة الحضارة الغربية، وهذا يعني ضرورة جمع النهوض الذاتي بين الأصالة الخالية من شوائب التراث، وبين المعاصرة البعيدة عن التغريب.[2]

وقال بن نبي أن خطر الاستعمار استيقظت منه الشعوب الإسلامية فجأةً، وبقدر ما اعتبر في هذا الأمر دافع الحياة، كان أيضاً دافعاً من دوافع الخطأ. وحتى لا نقع في التقليد بشقيه التاريخي والتغريبي فقد حث المفكران على التوازن الزمني بين الاستفادة من الماضي والاستغراق في الحاضر واستشراف المستقبل.[3]

المطلب الرابع : إبراز الفاعلية والحركية

تحدث المفكران مالك وكولن بإسهاب في مشروعهما النهضوي عن الفاعلية والحركية ودورهما الكبير في تحقيق النهوض الحضاري، معتبران أن سبب انخفاض مستوى مردود المجتمعات الإسلامية يعود لغياب هذا العنصر الأساسي المترجم لأفكارها وتراثها. فالفاعلية تترجم وتطبق الأفكار على أرض الواقع وتجسدها فعلاً وعملاً. وهو ما يغيب حقيقةً عن واقع الأمة الإسلامية الحالي الغزيرة

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 201.

[2] – المرجع نفسه، ص 202.

[3] – المرجع نفسه، ص 202، 203.

بمصادرها ومراجعها، وأفكارها، وتراثها المادي والمعنوي، لكن يضمحل كل هذا في ظل توقف الفاعلية وجمودها، وغياب آليات التطبيق في الميدان.

كما أبان المفكران عن اهتمام واضح وعناية فائقة بالفاعلية بإبراز عوامل ولادتها وصناعتها من جديد من خلال توضيح أسباب جمودها، حيث استدلا بالنصوص المعصومة واستشهدا بالتجارب السلفية في عصر أنوار الصحابة وحللا تجارب الفاعلية في أوساط الشعوب التي أثمرت وازدهرت.[1]

وكان لمالك بن نبي تحديدا مفهوماً مميزاً للفاعلية معتبراً إياها عملية دينامكية لمواجهة الصعوبات وحل المشكلات ووضع الخطط، فهي وسيلة من وسائل تغيير النفس، وهي أداة ضرورية للإقلاع الحضاري.[2]

كما يرى فتح الله كولن أن الوجود في حد ذاته ينبني على الفاعلية والحركية، وكل نظام سابق أو آتٍ يقوم ويفنى بمدى حركيته وفكره يقول: "إن وجودنا بوجهه الحقيقي يمر عبر الحركية والفكر . حركية وفكر يغيران الذات والآخرين. ومن وجهة أخرى، يبدو كل وجود وكأنه حاصل حركة ومجموعة أنظمة، وبقاؤه مرتبط بالحركة وبتلك الأنظمة. إن أهم شيء وأشده ضرورة في حياتنا هو الحركية. فمن الضروري أن نتحرك على الدوام في ظروف قاهرة نضع أنفسنا تحت ثقلها بأنفسنا، لنحمل فوق ظهورنا واجبات ونفتح صدورنا أمام معضلات، الحركية المستمرة والفكر المستمر، ومهما ضحيّنا في هذا السبيل. فإن لم نتحرك نحن، فسندخل في تأثير الدوامات الفكرية والبرنامجية لأمواج هجمات الآخرين وأعمالهم الحركية، ونضطر إلى تمثيل فصول حركاتهم".[3]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 203.

[2] – فوزية برپون، مالك بن نبي "عصره وحياته ونظريته في الحضارة"، مرجع سابق، ص 221.

[3] – فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، مصدر سابق، ص 57.

المطلب الخامس : الانطلاق من المحلية إلى العالمية

حتى نستطيع بناء الأمة من جديد والارتقاء بها إلى مصاف العالمية يجب أن تتولد المشاريع المتعلقة بها من الداخل ثم نصدرها إلى الخارج، لأن أي عمل يرتبط بالأمة يصنع خارجها ثم نأتي به إليها لا يصلح مطلقاً، باعتباره لن يكون متناغماً مع واقعها وأفكارها ومصادرها وتراثها.

وفي هذا السياق كانت دولة تركيا الإسلامية حاضرة بقوة في فكر وعمل فتح الله كولن، و كانت مصدر انطلاقته في مشروعه من وطنه الأم إلى العالمية، وهو الشيء الذي سار فيه أيضاً مالك بن نبي حيث ظل ينافح عن القضية الوطنية الجزائرية في كتاباته، كما عرف بدوره العالمي من خلال مقارعته للاستعمار الثقافي ونقده للحضارة الغربية، واهتمامه بقضايا التحرر في العالم الثالث ومناصرتها، وكذا دعوته للاستفادة من التحالفات الدولية في إيجاد غطاء لدول العالم الثالث، كمنظمة دول عدم الانحياز التي ألف فيها أحد كتبه.[1]

وبخصوص عالمية كولن فبرزت بعد انطلاقه من وطنه الأم وتجسدت في تيار الخدمة الذي أسسه وصار بجدارة تياراً عالميا، يقوده مؤسسه من الولايات المتحدة الأمريكية. ويمتلك مؤسسات مختلفة في عشرات الدول بالعالم بمختلف أجناسها وأديانها، ويقيم مؤتمرات عالمية ضخمة لحوار الأديان والحضارات، ويتبنى مؤسسات ومنتديات عالمية عملاقة لمثل هذا الغرض. حيث يرى كولن أنه لو استمر تيار الخدمة في الصعود كماً وكيفاً فإنه سيقود عالمية إسلامية تستطيع التصدي للعولمة الأمريكية.[2]

و هذا ما يلاحظ لدى عدد من المؤلفين الغربيين، من مفكرين وفلاسفة سواء القدامى أو المعاصرين ممن ساهموا في بناء وتشييد الحضارة الغربية، التي نواكبها الآن، حيث صاغوا أفكارهم ومشاريعهم الحضارية انطلاقاً من داخلهم وتراثهم المحلي، وانطلقوا بها نحو الخارج وذلك بناء على مسوغاتهم الداخلية و إنتاجاتهم المحلية، وقد ذكرنا عدداً من الفلاسفة والمبدعين الأوروبيين في ذات السياق، سابقاً.

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 206.

[2] – المرجع نفسه، ص 206.

وهذا ما نراه في التجربة التركية مع بداية الألفية الجديدة التي أعطت ولا تزال نموذجاً إسلاميا عثمانياً داخلياً، مجسداً واقعاً، بناءا على مشاريع سياسية وصناعية اقتصادية وحضارية مختلفة، يُسجل على أنها أحسن سفير للإسلام في كافة أرجاء العالم وأمام الحضارات الأخرى.

المطلب السادس : الاستفادة من العلوم النافعة والتجارب الناجحة

يتّفق العلمان على أن الاستفادة من التجارب الغربية والشرقية أمرٌ مشروع، لأنه يدخل ضمن التراث الإنساني المتراكم، وما يحتويه من إنتاجات فكرية وعلمية، لكن يشترطان مقابل هذا تطويع هاته المستوردات وفق ما تمليه حضارة الإسلام وتراثه، والعمل على إخراجها وفق نمط حضارتنا.

وقد كان العلمان أيضاً متشابهان في رسائل التحذير من الاستعمار في جل كتاباتهم التي تمحورت حول معالجة أوضاع الأمة الإسلامية، لكنهما لم يدعوا أبدا إلى الانغلاق عن الذات، بل كانا من دعاة الانفتاح وعدم التعميم في النظرة إلى الأخر.[1]

ولهذا استفاد المفكران في هذا السياق على المستوى الشخصي من سائر العلوم الحديثة، ولا سيما علوم الاجتماع والنفس والتاريخ والاقتصاد، وبرز مالك أكثر في الاستفادة العميقة من معطيات وأدوات علم الاجتماع في تحليل الكثير من الظواهر الاجتماعية والسياسية، وفي توضيح الكثير من الأفكار .[2]

كما يلاحظ في كتابات المفكريْن الكثير من الدعوات لاقتباس ما هو نافع في التجارب الغربية والشرقية، من خلال استدعاء التجربتين الألمانية واليابانية في مضمار النهوض الحضاري، ولاسيما في مجالات: التخطيط، والعلم، والاقتباس، مع المحافظة على الهوية الذاتية والاعتزاز بها وقد زاد مالك مرارا باستدعاء التجربة الصينية. ووصل الحال إلى الثناء على القيم الإيجابية في الغرب، بما فيها الأخلاق كخلق الأمانة في مقابل ممارسة الكثير من النقد للمسلمين.[3]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 210.

[2] – المرجع نفسه، ص 210.

[3] – المرجع نفسه، ص 210، 211.

وبالقراءة للوضع الحالي للأمة أرى أن التجارب الإسلامية التي نجحت في استثمار الأفكار المستوردة وسارت وفق هذا المنهج "استيراد أفكار + تطويع= إثراء ايجابي"، قد أقلعت حقيقةً نحو التطور والتقدم، وأنا هنا استحضر دولة ماليزيا الإسلامية الواقعة بأقصى شرق آسيا، التي أصحبت محجاً لكل دول العالم شرقاً وغرباً نظير قطبيتها العلمية والاقتصادية. وهو العكس تماما الذي أراه في دول إسلامية أخرى لا تزال تتخبط بين ثنايا الانحطاط بسبب عدم تجسيدها لفكرة "استيراد أفكار + تطويع". حيث عمدت تلك الدول إلى قبول كل المستوردات الغربية بما حملته من مسوغات أجنبية، وطبقت على الداخل والذات، وهو الحال بدول شمال إفريقيا، كالجزائر وتونس و المغرب و مصر، الذين أجد نخبتهم وساستهم بدل البحث في كيفيات النهوض بأوضارهم، يتناولون مسائل استعادة الهوية وبعض القضايا الهامشية، التي تميعت بالطبع بفعل تلك المصوغات الأجنبية عبر الزمن، نظراً لكونها مسوغات لا تتفق مع ذاتنا. وقد تناثرت تلك المصوغات الأجنبية في أهم منظوماتنا الإستراتيجية، كالتربوية والاقتصادية والثقافية وغيرها حتى أصبحت هاته الدول تتبع فكرا ومنهجا إلى الغرب، وتعيش فراغا روحياً وحضارياً .

المطلب السابع: العمل للدّارين "عمارة الدنيا والإعداد للآخرة"

الأمة مطالبة بالعمل في الدنيا وعمارتها، بدل الخمول و الرزوح تحت وطأة أخبار عالم الغيب وانتظار قدوم الآخرة والحساب، والإعداد له بالعبادة والطاعات فقط، كما ينظّر و يوجّه كثير من دعاة التيارات الدينية المختلفة عبر العصور خاصة في آننا. فتحقيق التوازن بين العمل في الدنيا والإعداد للآخرة أمرٌ لابد منه للخوض في مشروع بناء دنوي حضاري. والاختلال بعدم تحقيق التوازن بين الدّارين بتغليب العمل للآخرة هو موت للأمة و جمود لها، وغلبة عليها من الأمم الأخرى.

ويقول مالك في هذا المجال: "الحياة الاجتماعية بالنسبة للمسلم لا تنفصل فيها الحياة الدنيوية عن الحياة الأخروية".[1] وهنا يقر بالمزاوجة بين الدارين والعمل لكليهما. لهذا توافق المفكران واهتما بتقرير حقيقة التوازن بين الدنيا والآخرة، حتى أن كولن يرى أن إحدى الغايات التي أرسل من أجلها الأنبياء هي تأمين التوازن بين الدنيا والآخرة، كما أكثر كلاهما من الحديث عن الدنيا والآخرة بصورة متلازمة، بحيث يفهم القارئ أن الطريق إلى الآخرة هو عمارة الدنيا. ومضى مالك في ذات السبيل في كليات

[1] – مالك بن نبي، تأملات، مصدر سابق، ص 158.

كتاباته، غير أن من يخوض في التفاصيل يظن أن اهتماماته الدنيوية أكبر من الاهتمامات الأخروية، والأمر غير ذلك إذ أنه يربط بين الدّارين.[1]

المطلب الثامن : ترقية الحس الجمعي

اهتم المجدّدان مالك وفتح الله بشكل واضح بقضية بناء المجتمع الإسلامي وتقوية بنيته الداخلية لمواجهة المشكلات والتحديات التي تعترضه من الداخل والخارج، وذلك من خلال تعزيز الروابط بين أفراده ودفعهم إلى الرغبة في التفاعل مع الجماعة بشكل ايجابي يخدم الأمة.

ويرى كولن أن: "الرغبة في التجمع داخل مجموعات إحساس موجود في فطرة الإنسان، ولابد من ظهوره. فإن لم يوجه هذا الإحساس توجيها حسنا تطور ونما بشكل يضر بالإنسان وبطبيعته. وإن غذي هذا الإحساس والشعور بأمور سلبية في الإنسان كالجهل والتعصب وضيق الأفق فانتظر عند ذلك النزاعات الدموية. وعلى العكس من ذلك إن كان العلم وسعة الأفق والتسامح والمرونة موجودة في المجتمع، ظهر التفاهم والتعاون بين الجماعات، ووصلت إلى رسم خط السلام فيما بينها، وسكنت ردود أفعالنا الغاضبة الموجودة في فطرتنا وسيطرنا على مشاعرنا".[2]

كما عالج مالك وكولن قضية الفردية التي تُفشل كل محاولات التوحد والائتلاف بين المسلمين، وتؤدي إلى إشاعة روح التمزق والتشظّي، ودعيا إلى إعادة صياغة الفرد، بحيث يتحول الشخص إلى وحدة الاجتماعية، لأنه يحمل في تكوينه استعدادات التآلف والتعاون مع الآخرين، بحيث يتحول إلى خلية في جسم الأمة .[3]

واهتم مالك بتحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع في دراسته لكثير من الموضوعات ذات الصلة بهما، ومن ذلك تحليله لموقف الإسلام من الديمقراطية، حيث اعتبر أن الإسلام جمع موفق بين مزايا الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية. كما حذر من عواقب الشخصانية على كافة الصعد

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 211.

[2] – محمد فتح الله كولن، الموازين، مصدر سابق، ص 69.

[3] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 212.

وأبرز هذه العواقب والآثار المدمرة حتى في تحليله للأحداث السياسية التي مرت بها الجزائر في فترات متعددة.[1]

أما فتح الله كولن فقد عالج كل هذه القضايا من زاوية الثقافة الإسلامية بشكل خالص، بشقيها الروحي والمادي وبقراءة تراثه في هذا المجال يكتشف القارئ أنه يمتلك ما يمكن وصفه بفقه الائتلاف.[2]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 213.

[2] – المرجع نفسه، ص 214.

المبحث الثاني: نقاط الاختلاف

تمهيد

كما تشابها مالك وكولن في عديد القضايا المطورحة يختلفان في جوانب عدّة، لكن ما يشد الانتباه خلال معالجة نقاط الاختلاف هو أن كولن رأى بعض المصوغات الحضارية من زاوية إسلامية محضة مترجمة لواقعه ومحيطه الاجتماعي التركي.

المطلب الأول: توجيه مشروع الإصلاح

يوجه مالك بن نبي رسائله الحضارية إلى الصفوة والنخبة التي تمتلك زمام عمليات الإصلاح سواء كانت النخبة في مجال الاجتماع أو السياسة أو الاقتصاد أو غيرهم، فكلامه لا يفهمه ولا يفقهه العامة، وإنما موجه للفئة المثقفة الواعية. أما كولن فبالعكس، فهو يرمي بمشروعه الحضاري في أحضان عامة المجتمع من خلال المسجد والمدرسة ومشروع الخدمة الذي يهتم بكل شرائح المجتمع دون تمييز، إضافة لذلك أنه يطرح مشروعاً بأفكار سهلة التناول والدراسة بعيدة عن التعقيد والغموض والارتياب كما هو الحال بالنسبة لمشروع مالك.

مشروع مالك عبارة عن سيل من الأفكار الفلسفية البنّاءة تبحث في أسباب تخلف الأمة والنهوض الحضاري بها، أما كولن فأفكاره إصلاحية دينية بسيطة الطرح تبحث عن من يتناولها مهما كان مستواه الثقافي والعلمي والمعرفي.

المطلب الثاني: رابطة الفكر بالتطبيق

يختلف مالك وكولن في تحديد طبيعة العلاقة بين الأفكار والتطبيقات في إطار صياغة أطر البناء والعملية النهضوية، فالأفكار الفلسفية تبقى دائما أقرب إلى عالم المثالية، بعيدة المنال في التجسيد.

ولاحظ بن نبي عملية الانفصام القائم بين العنصر الروحي في تكوين المسلم والعنصر الإجتماعي في حياته، ومعالجته لهذه المعضلة لم تتجاوز الفكر سواء في التشخيص أو في المعالجة ولذلك ضل مفكرا خالصاً .[1]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 216.

وهذه حقيقة في فكر مالك، فعلبة النمط الفلسفي على كتابته وتوجيهه للصفوة جعله في مرتبة الفكر المثالي الذي يبحث أصلاً عن ماكنة قوية لتجسيده عبر مدة زمنية قد تكون بعيدة المدى.

كما عالج كولن هذا الإنفصام بنفس القدر من الإهتمام الفكري وأضاف إلى ذلك إعادة تشكيل الطاقة الروحية، بحيث تؤتي أكلها في دفع قطار المسلم للعبور نحو التجسيد العملي لإيمانه في سائر شُعب الحياة. وأهم من هذا وذاك أنه انتقل إلى الجانب العملي لردم هذه الفجوة من خلال المشاريع العملية التي تجسد مشاريع الإسلام في سائر مناحي الحياة، حتى صار تيار الخدمة الذي أسسه ولا يزال إلى اليوم ينشط بمؤسساته عبر العالم.[1]

وتيار الخدمة –كما ذكرنا– هو أكثر التيارات الإسلامية المعاصرة تجسيدا لقيم الإسلام فكراً وحقيقةً، وواقعاً، أين يتجلى كل ذلك في المدارس الناشطة والمنتديات والفضائيات و المعاهد التابعة له عبر عدد من دول العالم في القارات الخمس.

وقد قال كولن في حوار لصحيفة "الشرق الأوسط" نقلته مجلة "حراء" الالكترونية التابعة لتيار الخدمة، أن الحركة تستهدي بقيم الإسلام، ومشاريعها التي يعكف عليها المتطوعون العاملون في إطارها متماشية مع القيم الإنسانية الهادفة إلى تعزيز الحريات الفردية وحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين جميع الفئات. حيث وجدت ترحيبا في 160 دولة حول العالم، ولقيت قبولا صريحا أو ضمنيا مباشرا أو غير مباشر من جنسيات ودول وأديان مختلفة. منوهاً إن المتطوعين في الحركة لا يشكلون بنية متجانسة، بل هي بنية متنوعة. ولا تقتصر حالة التنوع هذه لدى الناشطين في الحركة على القيم فحسب، وإنما تمتد لتشمل تعاطفهم أو مشاركتهم في مشاريعها، فبينما يعمل البعض معلمين في مدارس بالخارج، يقوم آخرون بالتكفل بالنفقات أو يخصصون جزءا من أوقاتهم للخدمات التطوعية، وما إلى ذلك.[2]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 216.

[2] – مجلة حراء الالكترونية : http://hiramagazine.com . 2016/05/14م. على الساعة 14:23.

المطلب الثالث: اختلاف الحكم على التصوف

رغم أن مالك عايش مرحلة التصوف في أوج قوته وانتشاره في العالم الإسلامي، خاصة خلال فترة عيشه بالجزائر التي احتضنت عشرات الطرق الصوفية التي هيمنت على الجانب الديني والإجتماعي للبلاد، و ترحاله لمصر، إلا أنه نظر إليه من زاوية سلبية، بل نظر إليه بأنه لا يمثل أي معنى للنهوض الحضاري، و يراه عامل سقوط. وهاته النظرة لمالك تسجل عكس ما يراه كولن تماماً .

فالمفكران من خلال الإطلاع على مشروعها الحضاري لا يتفقان في منظورهما حول التصوف الذي كان منتشرا على نطاقات واسعة في نهاية القرن العشرين، فمالك اتسمت نظرته له برؤية سلبية في تحليله العميق لكثير من أبعاد التخلف، حيث تحدث عن دور سلبي للحركات و الطرق والأفكار الصوفية في حياة المسلمين، المفضية للفردية وتضخم الشخصانية، وضعف السببية ووهن الفعالية، وضعف قيمة النقد الذاتي، وفقدان الدوافع لعمارة الأرض.[1]

أما كولن فبيّن في ثنايا رسائله وكتاباته المختلفة مدحاً للتصوف، ونجده يوجه ثناءاً على أفكار الصوفية و يمدح أتباعها، وكثيراً ما يستدعي بعض رموزها البارزين، ويستدل ببعض أقوالهم ولا سيما جلال الدين الرومي الذي أكثر الإغتراق منه والثناء عليه والإستدلال بمواقفه ومقولاته.[2]

المطلب الرابع: التمايز في الاهتمام بمشكلة المرأة

رغم أنّ هذا المصطلح –أي مشكلة المرأة– أصلاً مشتبهاً به ومتّهماً في أوساط النخبة الإسلامية، ويعتبر من نتاج الغزو الثقافي الغربي. بما أن المشكلة لم تطرح في الأوساط الإسلامية، وإنما استوردت، نجد أن مالك أعطاه حيزاً من الاهتمام، عكس فتح الله الذي لم يعر لهذه المشكلة أي اعتناء.

مالك بن نبي تحدث في معرض كتاباته عن المرأة وربطها بمشكلات التخلف دون أن يفصلها عن الرجل، مع تحفظه من مساعي ودعاة تقليد الغرب في مسألة تحرير المرأة التي روّج لها الكثير خلال فترة ما بعد الاستعمار ولا يزالون.

كما يعتبر مالك أن رابطة المجتمع بالمرأة قوية يتطور بتطورها وينحط بانحطاطها يقول: "إن تطور المجتمع يرتبط فعلاً بتطور المرأة والعكس صحيح، وطبيعة هذا الرباط كانت تستحق دراسة منهجية..

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 223.

[2] – المرجع نفسه، ص 224.

..إذا واصلنا نحن التحليل فإننا سنرى الحضارة التي تطبعها عبقرية الأنثى ستنتهي عندما تصبح المرأة فارسة و –الرجل مخنّث – وهي تنتهي إلى فجور وميوعة وانحلال، أما الحضارة التي عليها طابع الذكر فتنتهي إلى الجفاف والعقم و التحجّر ".[1]

وقد انتقد مالك فكرة حرية المرأة في الغرب ومحاولة تصديرها إلى خارجها نحو دول العالم الإسلامي، داعياً لإعادة مكانة المرأة وكرامتها يقول: "إن أوروبا تدين إلى المجتمع الإسلامي بالثقافة التي انتشرت فيها في العصور الوسطى، ونشرت في أرجائها تلك الفكرة التي تجعل تقدير المرأة من تقاليد الفروسية. ولكننا نرى أوروبا اليوم في طريقها إلى وضع الفارسة مكان السيدة، وتضع بالتالي المخنث مكان الرّجل. إن هذا التغيير حدث بلا شك بسبب التهور الذي يطلقون عليه تحرر المرأة.. والآن قد اتضحت القضية تماما: إنه يجب علينا أن نعيد للمرأة الكرامة التي وهبها لها الإسلام".[2]

المطلب الخامس: اختلاف استدعاء النماذج

خلال مطالعة عدد من كتابات المفكريْن يتّضح أنهما اختلفا في ذكر نماذج الأعلام، فمالك بن نبي استطرد في الاستدلال بكلام وأقوال فلاسفة أوروبين وعلماء كان لهم أثر كبير في التحول الحضاري الأوروبي ومهندسيه ومنهم، انشتاين، ديكارت، داروين، بوسييه، أرنست رينان، بلزاك، جون ديوي، أفلاطون، سقراط، ارسطو، فولتير، هتلر، ماوتسي تونج، كوستاف لوبون، فرويد، تولستوي، طاغور، ديستويفسكي، انجلز، ماركس، ايرلند توينبي وغيرهم. حيث يتضح من خلال هذا أن فلاسفة العصر اليوناني أيضاً كانوا محل استشهاد لمالك، الذي كان دافعه وراء اهتمامه بفلاسفة أوروبا القدماء والجدد هو نشأته العلمية والاجتماعية في فرنسا، أي كان له احتكاك كبير بالحضارة الغربية هناك.

أما كولن فهو عكس مالك تماماً حيث كانت محل استدلالاته من الثقافة الإسلامية وما جادت به قرائح مفكريها العظماء عبر الأزمنة سواء كانوا عرباً أو فرساً أو أتراكاً. ومن هؤلاء الذين كان يستشهد بهم كولن كثيراً حسب اطلاعي على عدد من كتاباته، هو بديع الزمان سعيد النورسي، هذا

[1] – مالك بن نبي، في مهب المعركة، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص 97، 98.

[2] – المصدر نفسه، ص 100.

العلم الإسلامي الذي أبدع في إثراء الثقافة الإسلامية في مجالات عديدة. حيث كان يستشهد بأقواله وكتابته.

المبحث السادس: اتجاهان علمي وأدبي في الكتابة

يختلف العلمان في طريقة وأسلوب كتابة مشروعها النهضوي، حيث انعكس الاتجاه العلمي للكتابة على مالك بن نبي، الذي تأثر بالنزعة العلمية التي عايشها في أوروبا. أما كولن فتميزت كتاباته بغلبة الاتجاه الأدبي الصوفي الجمالي مع حرصه على تناول الجوانب العلمية بأسلوب علمي. إذ يظهر من هذا أن كلا المفكريْن تأثرا بمحيطهما، وفي مسيرتهما العلمية ومجال احتكاكهما بالعلماء والفلاسفة سواء غربيين أو إسلاميين.

وقد استخدام بن نبي في سائر كتاباته التي تنوعت بين فكري وحضاري وعلمي وتربوي واقتصادي لغة فكرية منضبطة تتميز بالأسلوب العلمي في الكتابة بما يشتمل عليه من وضوح ودقة من جهة، ومن جفاف ومحدودية في التوضيح للأفكار من ناحية أخرى، ونجح بجانب ذلك في إبتكار مصطلحات كثيرة، بعضها وجد رواجا في عالم الفكر الإسلامي المعاصر مثل القابلية للإستعمار .[1]

وأما كولن فكانت كتاباته على تنوعها وكثرتها لغة أدبية راقية مليئة بالصور والتشبيهات الجميلة والمصطلحات العذبة وقد امتلك بهذا قاموسا ثرياً ومعجماً غنياً ولغزارة المصطلحات التي إبتدعها إقترح بعض الباحثين إيجاد قاموس لها.[2]

كما تفوق فتح الله في قدرته الفائقة على النحت اللغوي وإبداع الصور والإستعارات والتشبيهات، واجتهد في إحياء الكثير من المفردات العثمانية القديمة التي كادت أن تمّحي من الأذهان وقواميس اللغة التركية بعد أن كتبت بالحروف اللاتينية أثناء فترة الصحوة الأوروبية التي استعانت بالتراث الإسلامي في كثير من المجالات.[3]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 227.

[2] – المرجع نفسه، ص 227.

[3] – المرجع نفسه، ص 227.

أيضاً عندما نلاحظ لغة كتابة المفكريْن نجد أن كولن عكس مالك حافظ على لغة وطنه الأم تركيا، فرغم انه كان يتقن عدد من اللغات العالمية المعروفة، إلاّ أنه آثر أن تكون مؤلفاته بلغة أهله حتى يعطيها ثروة وطاقة اصطلاحية جديدة، حيث أحي اللغة التركية ودفعها نحو العالمية.

أما مالك بن نبي فكانت كل كتبه ورسائله باللغة الفرنسية ثم ترجمت إلى العربية بعد وفاته، وإقدام مالك على الكتابة بالفرنسية مردّه للتنشئة والتكوين اللذان تلقاهما في الجزائر مسقط رأسه وهي مستعمرة فرنسية، وترحاله إلى فرنسا والعمل والدراسة والزواج بها.

المطلب السابع: الموقف من الاشتراكية

أبدى مالك بن نبي مساندته للمذهب الاشتراكي المنتشر في العالم إلى نهاية القرن العشرين، نظرا لأفكاره العامة المواجهة لغطرسة الإمبرالية، مع كونه ينبني على أفكار تشاركية وخدمة الطبقات الاجتماعية الضعيفة والهشة، ويشجع على العمل والإنتاج وغيرها. وهو ما لم يرق لكولن الذي أظهر عدم اهتمامه بالمذهب.

وقد مدح مالك المذهب الاشتراكي قائلاً: "إن الماركسية التي ادعت أنها تبعت خطى المنهج الهيجلي، قد ورثت من هذا المنهج آلية الجدلية الرائعة. وبالخصوص ذلك المبدأ الذي من حقه أن يُفاخر به إذ يقول هناك مستقبل فلسفي للعالم، و مستقبل لعالم الفلسفة. فهذا المبدأ إذن، قد وضع بين الأفكار المنظمة منهجاً فلسفياً، وبين الأحداث الاجتماعية رابطاً محدداً ومتبادلاً ".[1]

وأضاف مالك في هذا الخصوص: "الماركسية مثلاً إنها منهج أفكار رأي النور في الواقع الاجتماعي لأوروبا في بداية القرن التاسع عشر .إنها ساعة مستقبل فلسفي لعالم ما".[2]

وكان المفكر بن نبي حسن الظن باليساريين وأبدى إعجابه بتجارب اليسار في الإتحاد السوفياتي والصيني وكوبا وأكثر من ضرب الأمثال بتجاربهم في بعض الميادين . ووصل به الإعجاب بالإشتراكية لحد رأيه بأنها حل للمشاكل في الجزائر وبالذات مشكلة اللافعالية ومشكلة الفردية، وبالتأكيد أنه يقصد ما سماها بعضهم بالإشتراكية الإسلامية التي تجمع بين قيم الإسلام العامة في العدالة

[1] – مالك بن نبي، من أجل التغيير، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، 2005م، ص 12.

[2] – المصدر نفسه، ص 13.

الإجتماعية وبين بعض التنظيمات والأفكار الإشتراكية الحديثة، أي أنها اشتراكية منفصلة عن المادية وملتحمة بالعروبة والإسلام.[1]

وأما كولن حسب ما نُشر بصحيفة رأي اليوم[2] في عدد يوم 25 سبتمبر 2014م، فقد نقد كل المذاهب والأنظمة واليساريين والشيوعية المادية خاصة. حيث قال عكس وجهة نظر مالك تماماً بأن الأنظمة التي وضعها البشر أفلست برمتها، مشيرا إلى أن نجاحها كان مؤقتا ومنها نظام الإقطاع والرأسمالية والاشتراكية والشيوعية. كما أن الإنسانية التي أثقلتها مشكلات العصر تتجه إلى الإسلام من جديد، وقد اتسعت كثيرا دائرة قناعات ترى أن الإسلام هو الحل لمعضلات مستعصية طال أنين البشرية تحت وطأتها، مشيرا إلى أن الناس تعترف بهذه الحقيقة حتى من يعادي الإسلام منهم.[3]

ومن المؤكد أن ظروف كل واحد منهما هي التي دفعت به إلى هذا الموقف، فقد كانت الجزائر محتلة من قبل دولة غربية رأسمالية هي فرنسا، بينما كانت المساعدات تأتي من دول المنظومة اليسارية ومنها مصر عبد الناصر المتحالفة مع السوفييت آنذاك، فكان مالك أشبه بالغريق الذي يتعلق بقشة ولا سيما أنه واجه من الإدارة الإستعمارية الكثير من صور العنت على المستوى الشخصي وكأنه وجد الأمان فقط في مصر الاشتراكية التي انتقل إليها.[4]

[1] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 219.

[2] – رأي اليوم: صحيفة الكترونية عربية مستقلة، رئيس تحريرها الباحث والكاتب الفلسطيني عبد الباري عطوان.

[3] – انظر محمود القيعي، فتح الله كولن : الأنظمة البشرية أفلست كلها والإسلام هو الحل، صحيفة رأي اليوم، عدد يوم 25 سبتمبر 2014م.

[4] – فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن، مرجع سابق، ص 220.

خاتمة

من خلال دراسة موضوع مشروع النهضة عند مالك بن نبي وفتح الله كولن، نستخلص أن لهذين العلميْن فكرا متّزناً موسوعياً، راعا في طرحهما لإعادة بعث الحضارة، أحوال الزمان والمكان التي تمر بها الأمة، كما أن معايشتهما لنفس الواقع جعلهما يعطيان فلسفة متناغمة وحلول للأوضاع المستجدة التي طرأت في أرجاء البلاد الإسلامية.

وأرى من باب هذا التحليل لفكر المجدديْن، أن فكر مالك يُصنّف كفكر علمي فلسفي بعيد عن النزعة الدينية والأهواء المذهبيّة، من خلاله علاج مشكلات الحضارة وبناؤها من منطق عقلي، بإنتاج أفكار وقوانين عقلية منطقية بالاعتماد على سائر سنن الحياة وعلى دراسته للتاريخ البشري والحضارات الإنسانية عبر الأزمة بعيداً عن مسوغات الأديان، خاصة الحضارة الغربية التي عايشها وأخذ بأسباب نهوضها وبلوغها مستوى البناء الحضاري الكبير والانتشار الواسع. وهذه الرؤية حسب وجهة نظري لا تنطلق من زاوية ورؤية الدين كعقيدة وروح وإيمان يسكن الوجدان.

ودليل هذا هو تأثره الواضح بفلاسفة أوروبا وصانعي نهضتها خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وكذا فلاسفة اليونان القدماء الذين سبق وأن تطرقنا لذكرهم. وكانت أفكارهم ونظرياتهم محل اهتمام منه، رغم أن هؤلاء المفكرين كانوا مسيحيين ومنهم الملاحدة، والشيوعيين وغيرهم من أتباع الأديان القديمة غير الإسلام، بل والمعادية للدين الحنيف أصلاً، وهنا جوهر المفارقة بينه وبين كولن الذي لبس رداء الإسلام والوعظ والإمامة وترجم ذلك في كتاباته الفكرية.

فتح الله كولن من خلال تمحيص أفكاره وتحليلها ومناقشتها يظهر أن الشخصية الصوفية الوعظية الدينية والإصلاحية قد أثرت على كتاباته ورسائله النهضوية المختلفة، التي كان الإسلام والدين دافعاً لها في داخله الوجداني، مع تسجيل دور البيئة الإسلامية المحافظة التي حضي بالنشأة فيها في مسقط رأسه. وعليه يكون تأثر كولن بمفكري الإسلام وهيمنة أفكارهم عليه، قد دفع به لصياغة مشروع حضاري إسلامي بتوجه معاصر حداثي مترجماً للدين والرسالة السماوية.

ما استخلصته أيضاً خلال دراستي لمشروع المفكريْن النهضوي أن كولن استطاع تجسيد بعض من أفكاره ونظرياته واقعاً من خلال مشروع الخدمة الذي أسسه نظرياً، وطبّقه عملاً على أرض الواقع، إذ يعد هذا المشروع آنياً من أهم المشروعات الخدماتية المجسد للنمط الإسلامي في العالم، ويتواجد وينشط بشكل كبير في الدول الكبرى على غرار الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا وفرنسا ومصر وبعض دول الخليج وعشرات الدول الأخرى، كما يقوم هذا المشروع على نشر الإسلام بطرق حداثية

جديدة لا تعكس النمط الكلاسيكي القديم في الدعوة، وذلك عن طريق تأسيس المدارس والمعاهد الدولية، و تأسيس المجلات والصحف والفضائيات، وإقامة المنتديات والملتقيات الدولية وحشد وسائل الإعلام و الصحافة لها.

أما مالك فكان مشروعه فلسفياً عميقاً موجهاً للنخبة والفئات الدّارسة والمطّلعة على أوضاع العالم الإسلامي، ولم يعتمد فيه على الطرح البسيط الواضح المناسب للجميع بجميع مستوياتهم. وأيضا لا أرى له أي جانب من جوانب التطبيق لأفكاره كما هو الحال لمشروع الخدمة عند كولن. حيث توجه أفكار مالك كما ذكرنا إلى مستويات النخبة وأهل العلم.

ومن خلال كل هذا يمكن أن أوجز عدد من الأفكار المستخلصة من دراستي وهي كالآتي:

1- أن الأمة الإسلامية ما لم تحيي إيمانها من جديد وفق مستجدات العصر الحديث فإنه لا أمل في عودتها لمكانها القديم الحضاري.

2- العودة إلى قطار الحضارة لا يتأتى إلاّ من خلال الانطلاق من الذّات "الداخل" بكل ما يحتويه من تراث وتاريخ وأرض ومكتسبات متراكمة عبر الزمن .

3- القرآن صالح للتطبيق في كل زمان ومكان، بشرط تسخير العقل والفطرة والسنن الكونية لفهمه، وتحليل قوانينه وتشريعاته التي طرقت كل أبواب الاجتماع والسياسة والأخلاق والعمل والاقتصاد علمياً بالعقل والمنطق.

4- العمل على توجيه الأفكار المتراكمة في وجدان الأمة، إلى تطبيق في الميدان، وهذه النقطة هي أهم أسباب التخلف في البلاد العربية والإسلامية التي تتواكل ولا تتوكل وتعمل. وهنا أذكر مجريات الربيع العربي مع بداية سنة 2011م، التي كانت هبّة حقيقية نحو مستقبل أفضل، كان المانع لها أمراض ورمية متجذرة ومستعصية في كيان الأمة منها غياب الفاعلية والحركية في بلادنا ومجتمعاتنا المستسلمة لعملية البحث عن تأمين المأكل والمشرب والأمن وأشياء أخرى فقط، وهي مطالب أقل ما يقال عنها أنها تافهة، في عالم بات يغزو الفضاء بعلمه وعمله.

5- الاستفادة من الحضارات الإنسانية المختلفة بما فيها الأوروبية الحالية، بشرط تطويعها منهجياً مع تراثنا الإسلامي. وهذه الفكرة كانت ولا تزال محل اختلاف ونقاش بين مفكري الإسلام و مشايخه و علمائه. كلٌ يرى الموضوع من زاويته حسب المذهب والمدرسة التي ينتمي لها.

6- إعادة بناء الإنسان من جديد وفق رؤية حضارية متماشية مع الراهن، ورأيي هنا أن يكون هذا من خلال إعداد برامج تربوية جيّدة، لأن بناء الإنسان بقوام رزين وعالي لا يمكن أن يكون بمشاريع سطحية، بل يجب بعث مشروعات تربوية هادفة وحضارية في كل البلاد الإسلامية تكون ولادة لجيل البناء و التشييد حتماً.

7- إعادة ترسيخ القيم الإنسانية في مجتمعاتنا، والتي أهملناها وتحولت لغيرنا، وأنا هنا أتحدث عن قيم التشاركية واحترام الآدمية والعمل في نطاق الهدف الواحد لبناء أمة. بعيداً عن المذهبية والإقصاء التي تمارس باسم الإسلام .

8- تقزيم مضمون القطيعة الحاصل بكيان الأمة جرّاء الفعل الديني والسياسي الخاطئ، وإزالة الشرخ بالبناء المجتمعي القائم على المذهبية والحزبية المتضادة والقاتمة، الذي لو يستمر كما هو عليه الآن لما رأت الأمة الخير ولو إلى نهاية الدهر.

9- بناء الحضارة مقرون بإعادة بناء العلاقات الإجتماعية الداخلية. طبعاً بعيدا عن المذهبية المقيتة، إذ أقصد بالعلاقات في جانبها الإنساني فقط، و الهدف منها يكون تشكيل تفاعل واسع ينبني عنه مشروع. فالعلاقات الاجتماعية هي التي تترجم مستوى تقدم وتحضر أي مجتمع. فكلما كانت قوية كانت بها تفاعلاً ايجابياً نحو مستقبل أفضل، وكلما كانت ضعيفة، مشتتة، مشرذمة، بفعل العوامل الداخلية كان الانحدار للمجتمع أمراً محتوماً.

10- مواجهة الاستبداد السياسي بكل أشكاله لابد له من إعداد الإنسان القويم والمجتمع المتماسك، فخلال ملاحظاتي لمجريات أحداث الربيع العربي أيضاً، التي أفلحت في إسقاط أنظمة مستبدة ودكتاتورية عبر انتفاضات شعبية، لكن لم تثمر وتزهر، تبيّن لي أن الحلقة الضعيفة التي تسبب في هذا الوضع البائس بعد موجة التغيير السياسي، هو طبيعة الإنسان العربي ذو الشخصية الهشّة والضعيفة تربوياً وفكرياً وحضارياً وحتى دينياً، الذي لم يعرف كيف يجسد طموحاته وأفكاره وآماله ورغبته في النهوض الحضاري.

في آخر دراستي أنوّه إلى أن المشروع النهضوي عند المفكرين مالك بن نبي وفتح الله كولن، كفيل بإحداث نهضة إسلامية وعربية، إذا بعث وطبق في المناهج وفي مختلف مناحي الحياة ومجالاها، وذلك بالنّظر لأهمية المقومات التي قاما بصياغتها لنا بناءا على مستجدات العصر الرّاهن، ومن شأن مشروعهما أيضاً لو بعثا في أوساط النخبة والمجتمع والبرامج التربوية والتعليمية، أن يقودا الأمة من

جديد إلى نهوض وازدهار متماشي مع تطورات العصر وتشعّباته. كما لا يسعني في نهاية هذه الدراسة إلاّ أن أشيد بجهود المفكريْن والعلميْن المسلميْن وأعترف بأنهما مفكرين ومنظِّرين بمستوى عالمي وحضاري.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001 م.

2- أرطغرول حكمه، فتح الله كولن " قصة حياة ومسيرة"، الطبعة الأولى، دار النيل ، القاهرة، مصر، 2013م.

3- اعترافات القديس أغوسطينوس، ترجمة الخوري يوحنا الحلو، الطبعة الرابعة، دار المشرق، 1991م.

4- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة (1798/1939م)، ترجمة: كريم عزقول، د ط، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د ت.

5- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998م.

6- الجامعة العربية، مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي "خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"، دار النيل، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2011م.

7- جاسم سلطان، من الصحوة إلى اليقظة " إستراتيجية الإدراك للحراك"، د ط، أم القرى، 2007م.

8- جمال الدين فالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي، بديع الزمان سعيد النورسي "قراءة جديدة في فكره المستنير"، الطبعة الأولى، دار الزنبقة، القاهرة، 2014م.

9- حبيب الشاروني، فلسفة فرنسيس بيكون، الطبعة، الأولى، دار الثقافة، المغرب، 1981م.

10- راغب السرجاني، قصة الحروب الصليبية، الطبعة الثانية، مؤسسة إقرأ للنشر، القاهرة، 2009م.

11- ضمد كاظم وسمي، النهضة الأوروبية وقضية الحرية، د ط، منتديات ليل الغربة، 2009م.

12- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،1987 م.
13- عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دط، دار الفكر العربي، 1999م.
14- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي حياته وفكره، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2012م.
15- فوزية بريون، مالك بن نبي "عصره وحياته ونظريته في الحضارة"، الطبعة الأولى، دار الفكر. دمشق، 2010م.
16- فؤاد عبد الرحمن البنا، العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولـن، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، قطر 2013م.
17- فؤاد عبد الرحمن البنا، عبقرية فتح لله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة، الطبعة الأولى، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2012م.
18- لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1987م.
19- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1988م.
20- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، دار الفكر ، دمشق، 1986م.
21- مالك بن نبي، بين الرشاد والتيه، الطبعة الثانية ، دار الفكر، دمشق، 2002م.
22- مالك بن نبي، تأملات، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2002 م.
23- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2002 م.
24- مالك بن نبي، شروط النهضة، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، 1987م.
25- مالك بن نبي، مجالس دمشق، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، 2006 م.
26- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، الطبعة الرابعة، دمشق، سوريا، 2000م.
27- مالك بن بني، القضايا الكبرى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2000م.
28- مالك بن نبي، في مهب المعركة، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، 2002م.

29- مالك بن نبي، من أجل التغيير، الطبعة الرابعة، دار الفكر، دمشق، 2005م.

30- محمد فتح الله كولن، ونحن نبني حضارتنا، الطبعة الثانية، دار النيل، مصر، 2011م.

31- محمد فتح الله كولن، ونحن نقيم صرح الروح، الطبعة السادسة، دار النيل، مصر، 2010م.

32- محمد فتح الله كولن، طرق الإرشاد في الفكر والحياة، الطبعة الخامسة، دار النيل، مصر، 2010م.

33- محمد فتح الله كولن، الموازين، الطبعة الخامسة، دار النيل، مصر، 2010م.

34- محمد فتح الله كولن، أضواء قرآنية في سماء الوجدان، دار النيل، الطبعة الخامسة، القاهرة، مصر، 2010 م.

35- محمد جكيب، أشواق النهضة والانبعاث، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن، الطبعة الأولى، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، 2013م.

36- محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الطبعة الرابعة، مكتبة وهبة، القاهرة، دون تاريخ.

37- محمد جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دون طبعة، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

38- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004 م.

39- محمد العبدة، مالك بن بني مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2006م .

40- محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1995 م.

41- مصطفى تيلوين، مدخل عام في الانثروبولوجيا، الطبعة الأولى، دار الفرابي، لبنان، 2011م،

42- ميلاد ذكي غالي، "الله" في فلسفة القديس توما الاكويني، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ.

43- نيقولا ميكيافيلي، الأمير، ترجمة :أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.

44- ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء 16، دار الجيل، بيروت، د ت.
45- ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء11 ، دار الجيل، بيروت، دت.

ثالثاً: مجالات وصحف

1- ملحق مجلة حراء التركية، فتح الله كولن أشواق أمة واستنهاض حضارة، العدد: 18 جانفي- مارس 2010 م.
2- مجلة حراء الالكترونية: http://hiramagazine.com
3- صحيفة رأي اليوم: عدد يوم 25 سبتمبر 2014م.
http://www.raialyoum.com

رابعاً: مواقع الانترنت

1- موقع المفكر مـــالك بن نبي: http://www.binnabi.net
2- موقع الأستاذ فتح الله كولن: http://ar.fgulen.com
3- وكيبيديا الموسوعة الحـــــرة: https://ar.wikipedia.org

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
الملخص بالعربية	
الملخص بالانجليزية	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
مقدمة	أ-ب-ت-ث
الفصل الأول: الإطار المنهجي والمفهومي للدراسة	7
المبحث الأول: إشكالية الدراسة	8
المبحث الثاني: أهمية الموضوع وأسباب اختياره	9
المبحث الثالث: أهداف البحث	10
المبحث الرابع: المنهج المتّبع في الدراسة	10
المبحث الخامس: مصطلحات الدراسة	12-11
المبحث السادس: الدراسات السابقة	13
الفصل الثاني: محطات في حياة مالك بن نبي وفتح الله كولن	16
المبحث الأول: محطات في حياة مالك بن نبي	17
المطلب الأول: المولد والنشأة	17
المطلب الثاني: دراسته وعمله وترحاله إلى فرنسا	17
المطلب الثالث: مؤلفات مالك بن نبي	22
المبحث الثاني: محطات في حياة فتح الله كولن	24
المطلب الأول: مولده و نشأته	24
المطلب الثاني: كولن الإمام، والعسكري، والداعية	27

المطلب الثالث: مؤلفات فتح الله كـــــــولن	30
الفصل الثالث: مسارات النهضة في الفكر الأوروبي والعربي	34
المبحث الأول: مسارات النهضة في الفكر الأوروبـــــــــــي	35
المطلب الأول: قرون العصر الوسيط العجاف والتمرد على سلطة الكنيسة	35
المطلب الثاني: العوامل المساعدة على نهضة أوروبـــــــــا	38
المطلب الثالث: بعض أعلام عصر النهضة الأوروبيـــــــــــة	40
المطلب الرابع: أهم نتائج النهضة الأوروبيّـــة	43
المبحث الثاني: مسارات النهضة في الفكر العربـــــــــــي	46
المطلب الأول: الإسلام في مواجهة الحملات الصليبية وغزوات هولاكو وتيمورلنك	46
المطلب الثاني: الأوطان العربية والإسلامية تحت السيطرة الاستعمارية	48
المطلب الثالث: أصوات الصحوة الإسلامية ترتفع من جديـــــــــد	49
الفصل الرابع: مقومات المشروع النهضوي عند مالك بن نبي وفتح الله كولن	59
المبحث الأول : مقومات المشروع النهضوي عند مالك بن نبـي	60
المطلب الأول :مقومات النهضـــــــــــــــة	61
المطلب الثاني :عناصر الحضـــــــــــــــارة	65
المطلب الثالث : الدورة الحضاريـــــــــــــــة	68
المبحث الثاني: مقومات النهضة عند فتح الله كولـــــن	73
المطلب الأول: التجدّد بالإيـــمـــــــــــــان	75
المطلب الثاني: الكينونة الذاتيـــــــــــــــة	76
المطلب الثالث: المعقوليـــــــــة " العقل والقلب"	77
المطلب الرابع: الفاعلية والنزعة العمليـــــــــــــة	79
المطلب الخامس: إنسان الفكر والحركيـــــــــــــة	81
المطلب السادس: الموازنة بين الشريعتين القرآنية والفطرية	82-81
الفصل الخامس: المقارنة بين مشروعي النهضة عند مالك بن نبي وفتح الله كولن	84
المبحث الأول: نقاط التشابه	85

المطلب الأول: محورية الإنسان في البناء الحضاري	85
المطلب الثاني: التوازن بين عالمي الغيب والشهادة ومرجعية القرآن	86
المطلب الثالث: ذاتية النهوض الحضاري	87
المطلب الرابع: إبراز الفاعلية والحركية	87
المطلب الخامس: الانطلاق من المحلية إلى العالمية	89
المطلب السادس: الاستفادة من العلوم النافعة والتجارب الناجحة	90
المطلب السابع: العمل للدّارين "عمارة الدنيا والإعداد للآخرة"	91
المطلب الثامن: ترقية الحس الجمعي	92
المبحث الثاني: نقاط الاختلاف	94
المطلب الأول: توجيه مشروع الإصلاح	94
المطلب الثاني: رابطة الفكر بالتطبيق	94
المطلب الثالث: اختلاف الحكم على التصوف	97
المطلب الرابع: التمايز في الاهتمام بمشكلة المرأة	96
المطلب الخامس: اختلاف استدعاء النماذج	97
المبحث السادس: اتجاهان علمي وأدبي في الكتابة	98
المطلب السابع: الموقف من الاشتراكية	99
خاتمة	102
قائمة المصادر والمراجع	107
فهرس الموضوعات	112